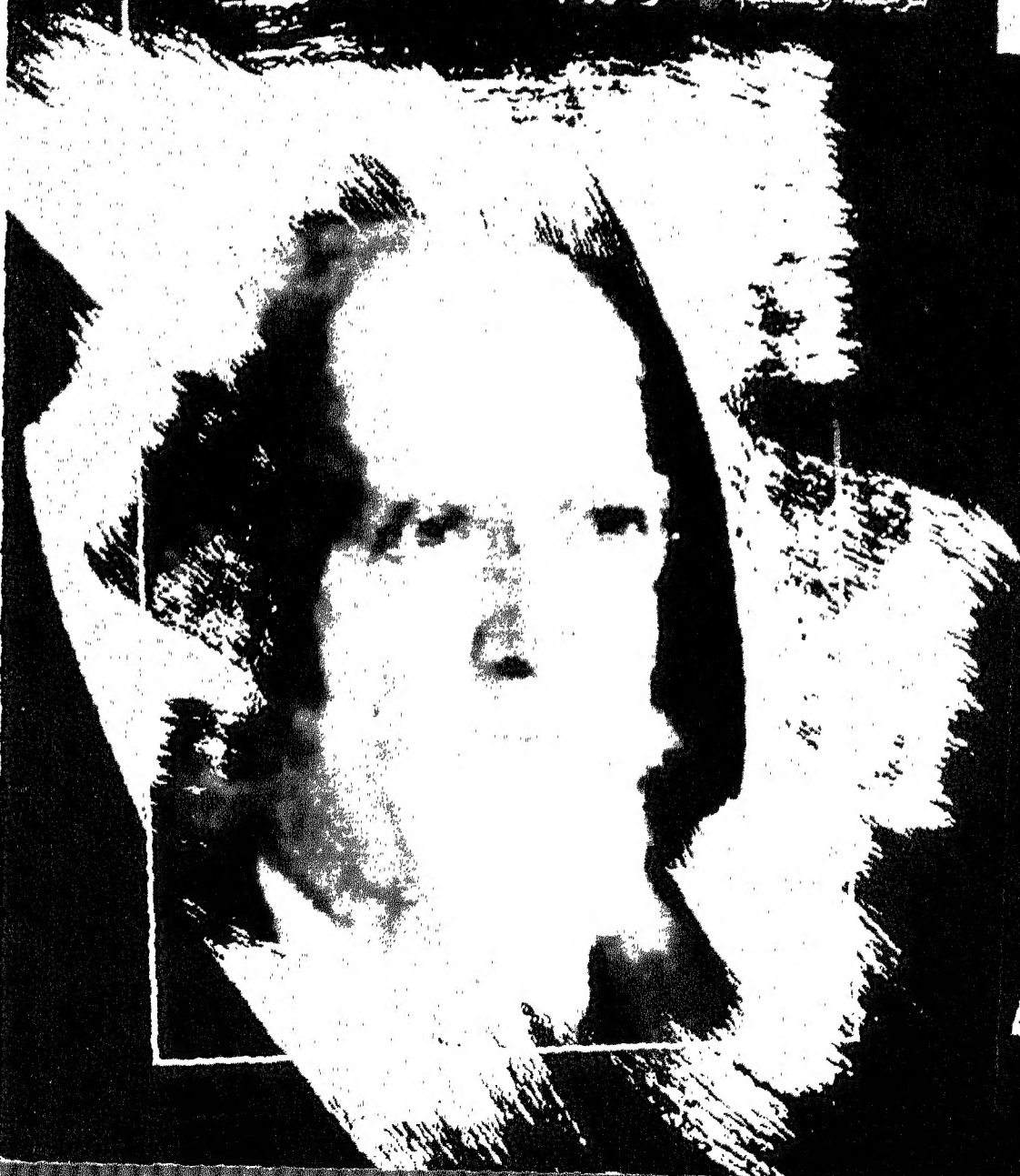


هَسْرَل

الفلسفة علما دقيقا

ترجمة وتقديم محمود رجب

المشروع القومي للترجمة



H

489

اهداءات ٢٠٠٤

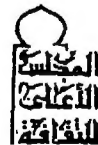
المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المشروع القومي للترجمة

هُسْرُلُ

الفلسفة علماً دقيقاً

ترجمة وتقديم :
محمود رجب



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد ٤٨٩

- الفلسفة علماً جديداً

- هُسرل

- محمود رجب

- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel: 7352396 Fax: 7358084 E. Mail: asfour@onebox.com

تهدف إصدارت المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

مقدمة الترجمة

١ - أهمية الكتاب :

يطلق الباحثون في فلسفة هسرل على كتابه " الفلسفة علما دقيقا " اسم "مقال اللوغوس " نسبة إلى مجلة " اللوغوس Logos " التي نُشر فيها ١٩١٠ - ١٩١١ (العدد الأول) . وهناك ما يشبه الإجماع بين الباحثين على أهمية هذا المقال في تفكير هسرل ، يتجلى ذلك في تلك الأوصاف التي تطق عليه ، فمن قائل بأنه " أشبه شيء ببيان الحركة الظاهريّة كلها " (١) ، ومن قائل بأنه بمثابة الصخرة التي يقوم عليها كل تفكير هسرل (٢) ، وعندنا أن أهمية هذا المقال ترجع ، علاوة على ذلك ، إلى أنه يحتل من الناحية الزمنية في تطور فكر هسرل مكانا فريدا . فقد نشره - كما قلنا - ١٩١٠ - ١٩١١ . وهذه الفترة تعتبر فترة انتقال في تفكير هسرل : انتقال من " الأبحاث المنطقية " ١٩٠٠ - ١٩٠١ ، وهو الكتاب الذي وضع فيه أسس الظاهريات الوصفية ، إلى " الأفكار " ١٩١٣ ، وهو الكتاب الذي قد قدّم فيه الظاهريات بوصفها فلسفة ترنسندنتالية . من هنا يكتسب هذا المقال أهمية خاصة من حيث أنه " همزة وصل " - إن صح هذا التعبير - بين مرحلتين من مراحل تفكير هسرل . ففيه تركيز و " بلورة " لأفكار كان قد عرضها بالتفصيل في " الأبحاث المنطقية " وفيه أيضا " بذور " أفكار عديدة نمت وتطورت بعد ذلك في المراحل التالية من تفلسفه ، وخاصة مرحلة الظاهريات الترנסدنتالية .

هذا فضلا عن أننا نجد في مقدمة هذا المقال حسا تاريخيا بتراث الفلسفة ، وهو ذلك الحس الذي يتمثل في ربط الظاهريات ومطلبها في أن تكون علما دقيقا

(1) Kelkel et Scherer, Husserl, P.U.F, P. 47 .

(2) Biemel, Les phases decisives dans le developpement de la philosophie de Husserl, dans " Husserl " Nijhoff, P. 54 .

بجهود الفلاسفة السابقين علي هسرل ، وقد تطور هذا الحس التاريخي بعد ذلك، فظهر في "الأفكار I" ثم ظهر بشيء من التفصيل في " أزمة العلوم الأوروبية" .

إن تصور العلم الذي يبدأ منه هسرل هو تصور أفلاطون وديكارت والنزعة العقلية في القرن السابع عشر عامة للعلم . وهذا التصور الذي يتوجه نحو الأسس الأولى والمعايير اللامشروطة ، يختلف من حيث الأساس عن التصور الحديث للعلم التجريبي ، بل ويختلف عن التصور الحديث للعلم عموما . فالعلم بالمعنى الأفلاطوني هو العلم المطلق ، هو المعرفة المطلقة épistémé ، ويتميز أساسا بأنه حدس للماهيات . وعند هسرل أن الظاهريات تقوم على حدس الماهيات في مقابل العلوم التجريبية التي تقوم على الوقائع . فالمشروع الظاهرياتي لإقامة الفلسفة بوصفها علما دقيقا يفترض - بل ويتأسس على - هذه التفرقة بين الواقعة والماهية . وهذا ما بيّنه تفصيلا في " الأفكار" ويرجع هسرل بفكرته عن الفلسفة لا من حيث هي " نظرة عامة إلى العالم " أو نظرية في النظرات العامة إلى العالم بل من حيث هي معرفة دقيقة - نقول يرجع بفكرته هذه عن الفلسفة إلى كنت أيضا . فالفلسفة عند كل منهما لا يجب أن تكون شبيهة في دقتها العلوم فقط ، بل يجب أن تكون أكثر دقة منها ، طالما أنها لا ترضى - مثلما ترضى العلوم - بالانطلاق ابتداء من افتراضات سابقة لا توضع موضع التساؤل أو تفرض على أنها واضحة بذاتها . فالعلوم لم تتجاوز مرتبة التكنيك ولم تبلغ مرتبة المعرفة، أي العلم بالمعنى الكامل . ولن تتضح الأسس التي تقوم عليها هذه العلوم إلا بفضل الفلسفة التي هي المعرفة الأولى والنهائية ، أي الظاهريات التي هي " أم كل معرفة " . يقول هسرل: " نحن متفقون مع كنت تمام الاتفاق على أننا مضطرون إلى تحقيق الفلسفة الترنسندنتالية ، لا بروح نظرة عامة إلى العالم تتلائم مع احتياجات العصر ومطالبه ، بل بروح علم دقيق ، متوجه نحو فكرة الصحة المحددة"⁽¹⁾ .

(1) Husserl, Erste Philosophie, I, S. 287 .

على أننا لن يتسنى لنا فهم مطلب هسرل في أن تكون الفلسفة علماً دقيقاً إلا إذا وضعنا نصب أعيننا الوضع التاريخي للعصر الذي عاش فيه^(١). فقد كان المذهب الطبيعي غلباً ويدعى لنفسه القدرة على تحقيق هذا المطلب. وقد أخذ هسرل على عاتقه مهمة تفنيد هذا المذهب وتبيين ضعفه وتهافته: إذ نظر إليه على أنه بمثابة الخطر الأكبر الذي يتهددنا، ذلك أن المذهب الطبيعي - والفلسفة القائمة عليه - يحاول، بقبوله المثل الأعلى لإقامة فلسفة علمية، القيام بتحقيق هذا المثل الأعلى. لكنه يحققه على نحو زائف. وما دام المذهب الطبيعي يمثل اتجاهها أساسياً في الفكر الإنساني، فإنه يمثل بذلك شيئاً أكبر من مجرد غلطة يتعين علينا فضحها وتفنيدها، بل بالأحرى إنه خطر لا بد أن نأخذ حذرنا دائماً منه. ويتحتم علينا حاربه بلا هوادة.

هذا والجدير بالملاحظة أن محاربة هسرل للمذهب الطبيعي في هذا المقال تذكرنا بمحاربته، في المرحلة الأخيرة من تطوره، للنزعة الموضوعية في "أزمة العلوم الأوربية"، وعلى الرغم من اختلاف الجهتين واختلاف المرحلتين، فإن الهدف واحد هو: تأسيس العلم على نحو سليم في الذاتية، وفي علم الذاتية، أي الظاهريات. وسوف نبين في الفقرات التالية كيف يحقق هسرل هذا الهدف، ملتزمين في ذلك بنص كلامه، كما نتبين على نحو تطبيقي ملموس نشأة المنهج الظاهرياتي في هذا المقال.

٢ - الدافع المحرك لنزعة هسرل المضادة للمذهب الطبيعي:

تجلت نزعة هسرل المعادية للمذهب الطبيعي بكل وضوح في مقال: "الفلسفة بوصفها علماً دقيقاً"^(٢). وقد اتخذت شكل الهجوم على الإمكانيات الفلسفية في

(١) أنظر الفصل الأول من الباب الأول من القسم الأول.

(٢) أشار هسرل في الجزء الثالث من "الأفكار" إلى نقاد الظاهريات بقوله إنه لا يملك شيئاً جديداً يضيفه إلى ما سبق أن قاله في هذا الموضوع (أي نزعة المعادية للمذهب الطبيعي) "فقد وفيت حقه في مقال اللوغوس".

(Ideon III, S. 45).

العلوم الطبيعية . ففيه أعلن هسرل الحرب على الفلسفة القائمة على المذهب الطبيعي ، ورأى في هذه الحرب فريضة واجبة على كل مفكر في هذا الزمن ، "فإنه لمن الأهمية بمكان أن نمارس اليوم - كما يقول - نقداً جذريا للفلسفة القائمة على المذهب الطبيعي " .

والمذهب الطبيعي في نظر هسرل عبارة عن ظاهرة ترتبت على اكتشاف الطبيعة ، أي الطبيعة منظوراً إليها على أنها وحدة للوجود الزماني - المكاني ، وتخضع لقوانين طبيعية مضبوطة ، وقد أخذ في الانتشار باطراد من خلال التحقيق التدريجي لهذه الفكرة في مجال العلوم الطبيعية . والعالم الذي يأخذ بالمذهب الطبيعي لا يرى شيئاً سوى الطبيعة ، والطبيعة الفيزيائية أولاً . فكل ما هو موجود إما أن يكون هو نفسه فيزيائياً وإما أن يكون نفسياً ، غير أنه في هذه الحالة الأخيرة لن يكون إلا مجرد متغير يتوقف في وجوده على الفيزيائي ، ولن يكون - في أحسن الأحوال - إلا ظاهرة ثانوية تلازم الفيزيائي على نحو متواز " . ويرى هسرل أن ما يميز المذهب الطبيعي في جميع صورته خاصيتان : تطبيع الوعي (الشعور) من ناحية ، ومن ناحية أخرى تطبيع الأفكار ، وبالتالي سائر المثل العليا والمعايير المطلقة .

بعد ذلك يبدأ هسرل في مناقشة المذهب الطبيعي ونقده فيقول : إن هذا المذهب يفند - دون أن يدري - نفسه بنفسه ، وذكروا بتفسير المذهب الطبيعي - في مجال المنطق الصوري الذي اختاره أنموذجاً لكل طابع مثالي في التفكير - للمبادئ المنطقية ، وهو التفسير الذي ينظر إليها على أنها قوانين طبيعية للتفكير . وهنا يكتفى هسرل بأن يحيلنا إلى النقد الذي نشره قبل ذلك بعشر سنوات في المجلد الأول من " الأبحاث المنطقية " (١٩٠٠) . فهسرل يعتقد أنه قد أثبت أن هذا التفسير لمبادئ المنطق يحمل معه ذلك الضرب من الإحالة (أو الامتناع) الذي يميز كل نظرية من نظريات المذهب الشكي . ويقول مؤكداً إن

فى مقدور المرء أن يوجه نقدا جذريا من هذا القبيل إلى مبحث القيم والفلسفة العلمية (بما فى ذلك علم الأخلاق) فى المذهب الطبيعى ، بل وإلى الممارسة التطبيقية لمبادئ المذهب الطبيعى ، لأن أضرب الإحالة النظرية لابد أن ينتج عنها ضروب من الإحالة (أى ضروب من عدم الاتساق واضحة) فى أساليب السلوك الفعلية . وعند هسرل إن الفيلسوف الذى يأخذ بالمذهب الطبيعى مثالى وموضوعى فى أسلوب سلوكه ، أو فى موقفه العام . فهو يريد أن يحدد - بطريقة علمية - ماهية الحق والخير والجمال بوجه عام ، بغض النظر عن المنهج الذى يمكن بواسطته الحصول على الحالات الخاصة . ويعتقد هذا الفيلسوف أنه قد بلغ ، عن طريق العلم الطبيعى وعن طريق فلسفة تقوم على هذا العلم نفسه ، الجانب الأكبر من هدفه . وبحماسة بالغة بنَّها فيه مثل هذا الشعور - نراه يُنصب نفسه معلماً ومصلحاً عملياً فيما يتعلق بالحق والخير والجمال من وجهة نظر علم الطبيعة . غير أنه لمثالى ذلك الذى يقدم نظريات - ويعتقد أنه يبررها - تنكر ما يفترضه ضمنا فى أسلوبه أو موقفه المثالى فى السلوك ، سواء أكان ذلك أثناء إقامته لنظريات أو أثناء تبريره وتزكيته لقيم أو معايير عملية . فالفيلسوف القائل بالمذهب الطبيعى فيلسوف يُعلم ، ويعظ ، ويدعو إلى مراعاة الأخلاق ، ويُصلح . وعند هسرل أن هيكل Häckel وأوستفالد Ostwald^(١) خير نموذجين

(١) ارنست هينريش هيكل (١٨٣٤ - ١٩١٩) ، عالم البيولوجيا الألمانى . عرف بدفاعه عن نظرية دارون فى التطور . وقد بلغ إيمانه بهذه النظرية حدا أقام معه عليها مذهبا فى الواحدة المادية ، قَدَّمه فى مؤلفاته العديدة ، وخاصة مؤلفه الشهير " لغز الكون " Die Welträtsel (١٨٩٩) ، وهو الكتاب الذى هاجم فيه النظرية الدينية المثالية ، مدافعا عن النظرة المادية فى العلم الطبيعى . وقد أدى به اعتقاده بالوحدة الجوهرية بين العضوى واللاعضوى إلى معارضة الأديان السماوية وتصوراتها عن الله والحرية والخلود ، واستعاض عنها بديانة جديدة تؤمن بديانة الطبيعة تقوم على الحق والخير والجمال .

أما فلهم أو ستفالد (١٨٥٣ - ١٩٣٢) فهو عالم كيمياء ألمانى . وقد عارض المذهب المادى دفاعا عن نظرية دينامية تذهب إلى القول بأن خصائص المادة والنفس على السواء ماهى =

لذلك . لكن هسرل يرى أن هذا الفيلسوف ينكر ما تفترضه ضمنا كل موعظة ، وكل مطلب إذا ما أريد أن يكون له معنى . وكل ما فى الامر أنه لا يعظ مثل قدماء الشكاك بقوله صراحة إن الموقف الوحيد المعقول هو إنكار العقل . فمما لاشك فيه أنه يطرح جانباً مثل هذا الرأى ولذلك قال هسرل بأن الاحالة لم تكن عند الفيلسوف الذى يأخذ بالمذهب الطبيعى - ظاهرة ، بل تظل خافية عليه نتيجة لصبغة العقل بصبغة طبيعية (تطبيع العقل) . ويعتقد هسرل أن الجدل فى هذه المسألة قد حُسم بالفعل ، حتى على الرغم من أن تيار المذهب الوضعى والمذهب البراجماتى لا يزال فى صعود . ثم يقرر هسرل هذه الفكرة الأساسية فى الظاهريات كلها : إن الأفكار السابقة تعمى البصيرة ، ومن لا يرى إلا وقائع التجربة ، ولا يسلم بأية قيمة داخلية إلا للعلم المؤسس على التجربة ، لن تقلقه النتائج المحالة التى لا يمكن ، تجريباً ، إثبات أنها تناقض الطبيعة ، فهو ينحى مثل هذا الضرب من الحجاج جانباً على أنه " نزعة مدرسية " .

٣ - علم النفس القائم على المذهب الطبيعى وحدوده :

كان البحث فى مكانة علم النفس العلمى فى بداية هذا القرن مسألة على جانب كبير من الأهمية . وكان هسرل شأنه شأن كثير من المفكرين مهتما بالبحث فى هذه المسألة وتحديد مدى صحة علم النفس بوصفه مبحثاً قائماً فى المذهب الطبيعى ، وبالدعوة إلى علم نفس " خالص " (ماهوى) بوصفه أساساً يقوم عليه علم النفس التجريبى .

= إلا صور خاصة من الطاقة . من كتبه الهامة فى مجال الفلسفة : " قهر المذهب المادى العلمى Die Überwindung der wissenschaftlichen Materialismus ، و " الفلسفة الطبيعية " Naturphilosophie .

وهذا ويجدر بنا أن نلاحظ أن هسرل عندما يتكلم عن المذهب الطبيعى فإنه يتكلم عنه فى جميع صورته المتطرفة والمتسقة ، ابتداء من المذهب المادى فى صورته الشعبية إلى أحدث صور المذهب الواحدى - الحسى ومذهب الطاقة الحية .

فلم يكن علم النفس على وجه العموم ، بوصفه علماً للوقائع ، صالحاً - فى نظر هسرل - لتقديم أسس للمباحث الفلسفية التي يتعين عليها الاهتمام بالمبادئ الخالصة لعملية وضع المعايير: أى بالمنطق الخالص ، ومبحث القيم الخالص . ويقدم هسرل وهو بصدد التمييز بين نظرية المعرفة والمنطق الخالص بمعنى الرياضة الكلية الخاصة - يقدم بعض اعتراضاته على المذهب النفسى والمذهب الفيزيائى :

إن كل علم للطبيعة هو ، من حيث نقطة ابتدائه ، ساذج . ذلك أن الطبيعة التى يبحثها هى ، بالنسبة إليه ، موجودة ببساطة هناك . فثمت أشياء موجودة فى مكان وزمان لانهايين ، ندركها ونصفها . وهدف العلم هو أن يعرفها بطريقة صحيحة موضوعية ، وعلى نحو علمى دقيق . ونفس هذا الكلام يصدق على الطبيعة بأوسع معانى هذه الكلمة، أى بالمعنى النفس الفيزيائى ، أو هو يصدق على العلوم التى تقوم ببحث هذه الطبيعة ، ويصدق بالتالى على علم النفس بوجه خاص . فالنفسى لا يؤلف عالماً قائماً بذاته ، ذلك أنه قد أعطى بوصفه أنا أو بوصفه تجربة معينة لأنا ، مرتبطاً بأشياء فيزيائية تسمى بالأجسام . هذه الحقيقة إنما هى معطى سابق واضح بذاته . إذن ، فمهمة علم النفس هى أن يستكشف ، بطريقة علمية ، هذا العنصر النفسى داخل الكلية الفيزيائية النفسية للطبيعة ، وأن يكتشف القوانين التى بمقتضاها يتكون ويتبدل . بل إن علم النفس - هذا العلم القائم على التجربة - حين يهتم بدراسة أحداث الوعى (أو الشعور) المجردة ، ولا يهتم بدراسة العلاقات النفسية الفيزيائية فإنه ينظر إلى تلك الأحداث ، مع ذلك ، على أنها تنتمى إلى الطبيعة ، أى بوصفها منتمية إلى أضرب من الوعى (الشعور) إنسانية أو حيوانية ، تعلق بدورها بأجسام إنسانية أو حيوانا تعلقاً لا شبهة فيه ولا لبس . وعلى ذلك فكل حكم نفسى يتضمن فى ذاته ، على نحو صريح أو غير صريح ، وضعاً للطبيعة الفيزيائية على

أنها موجودة . وهذا ما يطلق عليه هسرل أسس الوضع العام (أو القضية العامة) للموقف الطبيعي ، الذى فصل بيانه بعد ذلك فى " الأفكار I " . واستبعاد هذا التعلق بالطبيعة سوف يجرد النفسى من طابعه كواقعة طبيعية يمكن تحديدها موضوعيا وزمانيا .

ويرى هسرل أنه إذ كانت هناك حجج حاسمة تثبت أن علم الطبيعة الفيزيائى لايمكن أن يكون فلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولايمكن أبداً بأى حال أن يستخدم أساساً تقوم عليه الفلسفة ، فعندئذ يجب أن تكون كل الحجج التى من هذا القبيل قابلة للتطبيق على علم النفس . ويذكرنا - بتلك " السذاجة " التى يقبل بها علم الطبيعة ، الطبيعة على أنها " معطى " ، وهى سذاجة " أبدية " فيه . وعلى الرغم من أن العلم الطبيعى هو على طريقته الخاصة ، نقدى للغاية - ففى اعتقاد هسرل أنه يظل من الممكن ، بل من المحتم ، قيام ضرب آخر مختلف تماماً من نقد التجربة أعنى نقداً يضع التجربة كلها بما هى كذلك ، وبالمثل أسلوب التفكير الخاص بالعلم التجريبي - يضعهما موضع التساؤل .

ووضع التجربة كلها " موضع التساؤل " يثير أماننا بعض المشكلات الخاصة بنظرية المعرفة . فكيف يمكن التجربة بما هى وعى (شعور) أن تعطى موضوعاً أو أن تتصل به؟ وكيف يمكن التجارب أن يبرر بعضها بعضاً أو أن يصحح بعضها بعضاً على نحو متبادل ، وليس فقط أن يفند بعضها البعض الآخر وأن يدعم بعضها البعض الآخر على نحو ذاتى ؟ وكيف تستطيع لعبة الوعى (الشعور) الذى يتميز منطقته بأنه تجريبي أن تنشئ عبارات صحيحة موضوعياً، صحيحة بالنسبة إلى الأشياء الموجودة فى ذاتها ولذاتها ؟ ولماذا لا تكون قواعد لعبة الوعى ، إن جاز هذا التعبير ، غير منطبقة على الأشياء ؟ . كيف يتسنى لعلم الطبيعة أن يصبح مفهوماً فى جميع الحالات ، إلى الحد الذى يعتقد معه أنه فى كل خطوة من خطوات طريق سيره إنما يضع ويعرف طبيعة هى طبيعة فى

ذاتها - فى مقابل السيال الذاتى للوعى - ؟ كل هذه الأسئلة تتحول - كما يقول هسرل - إلى أُلغاز بمجرد أن يصبح التأمل فيها تأملا جادا . وبرغم كل المجهود الفكرى الذى بذله أعظم الباحثين فى نظرية المعرفة، فلم تتلق هذه الأسئلة اجابة واضحة ومحددة وحاسمة علمياً .

ثم يتكلم هسرل عن تلك الإحالة التى تتضمنها كل " نظرية للمعرفة قائمة على العلم الطبيعى " ، وبالمثل تلك الإحالة التى تتضمنها كل نظرية نفسية فى المعرفة. فإذا كانت هناك "ألغاز للعلم الطبيعى " تكمن فيه من حيث المبدأ، فعندئذ يكون من الأمور الواضحة بذاتها أن يتجاوز الحل الذى يقدم لهذه الألغاز نطاق العلم الطبيعى . ويرى أن من الواضح أن كل افتراض للطبيعة ، علمي أو سابق على العلم ، وبالمثل كل العبارات التى تتضمن وضعاً للطبيعة (أى طرحاً لها كشيء موجود فى الخارج) لابد أن يستبعد من أية نظرية للمعرفة . وهذا يعنى " تعليق" جميع العبارات التى تضع الوجود الخارجى (تواجد) الأشياء داخل إطار المكان والزمان ، والسببية إلخ . ولا شك أن ذلك الاستبعاد وذلك التعليق يتسع ليشمل أيضاً كل الأوضاع الوجودية الخاصة بالوجود العينى Dasein للباحث ، وقواه النفسية .^(١)

وعلاوة على ذلك يقول هسرل إن نظرية المعرفة إذا أرادت أن تبحث مشكلات العلاقة بين الوعى والوجود ، فإنها لن تستطيع أن تضع نصيب عينيها إلا

(١) ويمتد هذا الرد (والتعليق والاستبعاد) إلى الوجود العينى للظاهرياتى نفسه من حيث هو موجود انسانى ينتمى إلى العالم ، وإلى نشاطه وقواه النفسية . قارن ما قاله هسرل نفسه عن نفسه : " انى أقول : " فى سنة ١٩٠٥ ، عرضت فى جوتنجن لأول مرة الرد الظاهرياتى " ، أو أقول : " اننى جالس إلى مكتبى واننى مقيم فى الموقف الظاهرياتى حيث أبحث وأسجل نتائج الظاهريات الترتسندتالية كما أننى أتحدث مع الظاهرياتيين الآخرين الذين يتعاونون مع فى جماعة الفلسفة الترتسندتالية .. إذن يصبح النشاط الظاهرياتى نشاطاً إنسانياً نفسياً خاصاً بأتى - إنسان عادى ، أنه ينتمى إلى العالم ، وهو حدث تاريخى فى تاريخ الفلسفة " (cite pat Toulemont, L'essence de la société selon Husserl, op. cit, p. 39).

الوجود بوصفه متضائقا مع الوعى ، بوصفه شيئا " مقصودا " وفقا لطريقة الوعى : أى بوصفه مدركا ، أو متذكرا ، أو متوقعا ، أو متمثلا على هيئة صورة ذهنية ، أو متخيلا ، الخ وعلى ذلك لابد أن يوجه البحث صوب معرفة علمية ماهوية للوعى أو الشعور ، صوب ذلك الذى يجعل الوعى ذاته " هو ما هو " حسب ماهيته فى أشكالها القابلة للتمييز ولكن لابد أن يوجه ، فى الوقت نفسه ، إلى ما " يدل " عليه الوعى ، وبالمثل يوجه صوب تلك الأساليب المختلفة التى بمقتضاها - طبقا لماهية هذه الأشكال المشار إليها من قبل - يقصد الموضوعى (الموجود المقابل أو المواجه فى الوعى) Gegenständliches : على نحو واضح أو غير واضح ، بالإحضار أو الاستحضار ، بالرمز أو على هيئة صور ، مباشرة أو متخذا من الفكر وسيطا ، فى هذه الحالة من الانتباه أو تلك .. وهكذا إلى ما لا حصر له من الأشكال الأخرى ، مبينا ، فى النهاية ، الموضوعى على أنه ذلك الموجود وجودا " صحيحا " و " واقعيا " .

٤ - نحو ظاهريات للوعى :

المطلوب هو القيام بدراسة الوعى أو الشعور فى مجموعته . ولكن إذا كان الوعى دائما وعيا بشئ ما ، فإن الدراسة الماهوية تتضمن دراسة ماهوية لدلالة الوعى بماهى كذلك وعلى دراسة موضوعية الوعى بما هى كذلك ، ومن ثم الاهتمام بأحوال وجود الموضوعية كمعطى ، واستنفاد ماهيتها فى عمليات " التوضيح " التى تخصصها . وهذا ما أدى بهسرل إلى الكلام عن علم جديد ، لم يصل معاصروه إلى تصور مداه الواسع ، صحيح أنه علم للوعى (الشعور) ، لكنه مع ذلك ليس علما للنفس ، إن هدفه هو إقامة علم لظاهريات الوعى أو الشعور فى مقابل علم طبيعى عن الوعى أو الشعور . ولابد أن نتوقع مقدما أن يكون علم الظاهريات وعلم النفس مرتبطا كل منهما بالآخر على نحو وثيق ، من حيث أن كليهما يهتم بالوعى ، حتى وإن كان ذلك اهتماما يتم بطريقة مختلفة

ووفقا لوجهة نظر مختلفة. فعلم النفس يهتم " بالوعى أو الشعور التجريبي " ، منظورا إليه على أنه شئ موجود هناك فى مجموع الطبيعة . أما علم الظاهريات فيهتم بالوعى " الخالص " أى بالوعى أو الشعور من وجهة النظر الظاهريائية . فإن كان ذلك صحيحا ، ترتب عليه - دون انتقاص من الحقيقة القائلة بأن علم النفس ليس بفلسفة ولا يستطيع أن يكون فلسفة أكثر مما يستطيع ذلك علم الطبيعة الفيزيائى - أن علم النفس ينبغى عليه ، لأسباب جوهرية ، أن يكون على صلة وثيقة بالفلسفة ، أى من خلال مجال الظاهريات ، ويجب أن يظل مصيره مرتبطا بالفلسفة ارتباطا وثيقا للغاية .

لكن هسرل سرعان ما يستدرك ويذكر محمدا أن قوله هذا عن الصلة الوثيقة بين علمى النفس والفلسفة لا ينطبق إلا بدرجة ضئيلة جدا ، على علم النفس المضبوط الحديث أى علم النفس التجريبي الذى هو أبعد مايكون عن الفلسفة. ويحتج ، أثناء مناقشته لادعاء علم النفس التجريبي بأنه علم النفس العلمى الوحيد ، ضد استبعاد كل تحليل مباشر وخالص للوعى ، والوصف المحايث ، وعنده أن العلاقة التى تقوم بين علم النفس التجريبي وعلم النفس الأصيل تماثل تلك العلاقة التى تقوم بين الإحصاء الاجتماعى وعلم الاجتماع الأصيل ، إن مثل هذا النوع من الإحصاء يجمع وقائع لها قيمتها ، ويكتشف فيها اطرادات لها قيمتها، لكنها اطرادات من نوع غير مباشر إلى حد كبير . أما الفهم الصريح المباشر لهذه الوقائع والتوضيح الفعلى لها ، فلا يقدر على بلوغها إلا علم اجتماع أصيل ، أى علم اجتماع يصل بالظواهر إلى حالة كونها معطيات مباشرة ويبحثها وفقا لماهيتها . ولم يقدم هسرل - للأسف - أية أمثلة على مثل هذه الظواهر فبقى هدفه وكلامه فى هذه النقطة خالياً ولا يستند إلى ظواهر عينية تحققه وتبرره . ثم ينتقل هسرل مرة ثانية إلى علم النفس فيقول إن علم النفس التجريبي منهج مفيد ونافع فى تحديد الوقائع والمعايير النفسية الفيزيائية

(السيكوفيزيكية) . لكن هسرل لا يلبث أن يقول إن هذا المنهج ، أى منهج علم النفس التجريبي يفتقر بدون علم منهجي للوعى يستكشف النفس بطريقة محايدة - يفتقر إلى كل إمكانية للوصول إلى فهم أعمق لهذه الوقائع والمعايير النفسية الفيزيائية .

ويوضح ميرلوبونتي فى محاضراته عن " العلوم الإنسانية والظاهراتيات " هذا المعنى نفسه بعبارات مختلفة فيقول : إن نوع وجود الوعى - عند عالم النفس التجريبي - لا يتميز من نوع وجود الأشياء . فهو موضوع عالمي ، أى ينتمى إلى العالم ، وعالم النفس يدرسه على أساس هذا التصور . غير أن هذا العالم لن يتسنى له ادراك ماهية الوعى الأصلية إلا إذا قام بتحليل ماهوى - يقوم على التأمل الانعكاسى - لتصور الوعى . والمنهج الذى يستخدمه عالم النفس التجريبي هو منهج الاستقراء الذى يبدأ من الوقائع وجمعها . لكن هذا المنهج يظل قاصراً وأعمى لو لم ندرك ، من الداخل ويحدث ماهوى ، الوعى الذى يهدف هذا الاستقراء إلى تحديده . هذا هو ما يطلق عليه هسرل اسم علم النفس الماهوى . فكل علم نفس تجريبي لابد أن يسبقه علم نفس ماهوى ، أى لابد أن يتأسس الاستقراء على جهد تأملي انعكاسى effort reflexif ندرك عن طريقه دلالة التصورات التى يستخدمها علم النفس التجريبي ، مثل الادراك الحسى ، والصورة الذهنية ، والوعى .. إلخ . فمعرفة الوقائع تنتمى إلى علم النفس . أما فهم التصورات التى تستخدم فى تناول هذه الوقائع فينتمى إلى الظاهريات . وعند ميرلوبونتي أن هسرل لم يفكر فى إحلال علم النفس محل الفلسفة ، ولا الفلسفة محل علم النفس . بل جعل لكل مهمته ، فعلم النفس يدرس الوقائع وما بينها من علاقات ، أما الدلالة النهائية لهذه الوقائع ولهذه العلاقات فلا تستبين إلا

بدراسة ماهوية ظاهريائية، فيها نبلغ معنى أو ماهية الإدراك الحسى ، أو الصورة الذهنية ، أو الوعى.^(١)

٥ - تصور الظاهرة :

يتجه هسرل صوب عالم " النفس " ويقتصر على تلك " الظواهر النفسية " التى ينظر إليها علم النفس الجديد على أنها ميدان بحثه، ويسأل : هل هناك فى كل إدراك الحسى النفسى موضوعية متضمنة فيه تكون له بمثابة " طبيعة " بنفس المعنى الذى توجد به مثل هذه " الطبيعة " فى كل تجربة فيزيائية وكل إدراك حسى للشيء الواقعى ؟. والإجابة هى أن العلاقات التى تقوم فى مجال النفس تختلف كلية عن تلك العلاقات التى تقوم فى مجال الفيزيائى ، ذلك أن النفسى ينقسم (ويضيف إلى ذلك قوله : إن هذا تعبير مجازى ، لا ميتافيزيقى) إلى موندات ، أحادات ، لا نوافذ لها ولا تتواصل إلا عن طريق الاستشعار. فالوجود النفسى ، أى الوجود من حيث هو " ظاهرة " ليس بوحدة يمكن أن تجرب فى إدراكات حسية منفصلة كثيرة على أنها فى هوية فردية مع ذاتها ، ففى المجال النفسى ليس ثمت تمييز بين المظهر والوجود . وواضح عند هسرل فى هذه المرحلة أنه ليس ثمت إلا طبيعة واحدة فى حقيقة الأمر ، وهى تلك الطبيعة التى تظهر فى مظاهر الأشياء . فكل ما يطلق عليه ، بأوسع معانى علم النفس ، اسم ظاهرة نفسية هو - إذا ما نظر إليه فى ذاته ولذاته ، ظاهرة بحق وليس طبيعة .

فأية ظاهرة اذن ليست وحدة " جوهرية " (أى ذات جوهر) ، ذلك أنها لا تملك " خصائص طبيعية " realen Eigenschaften ، ولا تعرف أجزاء طبيعية ، ولا تغيرات طبيعية ولا سببية : فهذه الكلمات كلها إنما تفهم هنا بالمعنى الخاص بالعلم الطبيعى. فلو نسبت إلى الظواهر طبيعة ما ، ولو بحثت فى أجزائها

(1) Merleau- Ponty, Les sciences de l' homme et la phenomenologie, op. cit, pp.

الطبيعية المكونة لها، وبروابطها السببية ، لوقعت فى إحالة خالصة ، لا تقل عن تلك التى تقع فيها لو تساءلت عن الخصائص السببية للأعداد وروابطها . إنها الإحالة التى تنشأ عن تطبيع شيء ما ، تستبعد ماهيته الوجود من حيث هو طبيعة . إن التحديدات الموضوعية فى العلوم الطبيعية تقبل التحقق منها أو التصحيح فى تجارب جديدة ، أما الأحداث النفسية ، أو " الظواهر " فهى تذهب وتجيء ، ولا تحتفظ بوجود باق يظل فى هوية أعنى وجودا يقبل ، من حيث هو كذلك ، التحديد موضوعيا بالمعنى المعروف فى علم الطبيعة .

وعند هسرل أن " الوجود " النفسى لا يجرب على أنه شيء يظهر بل إنه " تجربة معيشة " ، وتجربة معيشة ترى فى التأمل الانعكاسى ، تجربة ترى بالحدس ، فيظهر على أنه هو ذاته ، فى سيال مطلق ، على أنه حاضر " الآن " وأخذ فى التغييب بالفعل ، وراجعا القهقرى دائما إلى " ما قد كان " . إن كل نفسى يندرج فى وحدة مونادية (أحادية) للوعى، وحدة ليس لها ، فى ذاتها، صلة على الإطلاق بالطبيعة ، وبالمكان ، وبالزمان ، أو بالجهرية (نسبة إلى الجهر) والسببية، بل لديها " صورها " الخاصة بها تماما ، " إنه سيال من الظواهر ، غير محدود من كلا الجانبين ، يتخلله خط قصدى " هذا هو المجال الذى يجب دراسته . وهو ما قام به هسرل فى " الأفكار I " . فما " الأفكار I " إلا تطبيق وتنفيذ لهذا التخطيط الذى عرضه هسرل فى هذا المقال^(١) . ويعتقد هسرل أن البحث العقلى فى هذا المجال ممكن ، إذ أ تجنب المرء ذلك الخلط بين الطبيعة والظواهر، بالمعنى الذى قدمه هسرل لكل هـنا . فعلى المرء أن يأخذ الظواهر كما تعطى نفسها ، أى بوصفها هذا المعنى ، هذا الظهور، هذا الفعل القصدى ... إلخ أو بوصفها شيئا ممثلا ، أو شيئا متخيلا إلخ . بعبارة أخرى مستمدة من مؤلفاته اللاحقة نقول : إن البحث لابد أن يشتمل على الجوانب

(1) Sokolowski, The formation of Husserl's Concept of Constitution, op. cit., p. 116 .

النويمية (الجوانب المتعلقة بأفعال الفكر) والجوانب النويمية (الجوانب المتعلقة بموضوعات الفكر) . وقد يكون " الشيء الموضوعى " المتضمن "وهما" أو " حقيقة فعلية" ، ويمكن أن يوصف بوصفه شيئا " موضوعيا على نحو محايث" ، وبوصفه مقصودا بما هو كذلك " .

ويعلم هسرل بأنه من الواضح أن المرء يستطيع أن يبحث وأن يدلى بعبارات ويفعل ذلك على أساس من البداهة . ويقول هسرل إننا لا نستطيع أن نتغلب بسهولة على تلك العادة الفطرية فى الحياة والتفكير حسب الموقف الطبيعى ، وبالتالي لا نتغلب على عادة تزييف النفس بتطبيعه . فضلا عن أن التغلب على هذه العادة يتوقف إلى حد كبير على إدراك أن من الممكن فى الواقع أن يقوم بحث " محايث " خالص للنفس ، إذا استخدمنا كلمة النفس بأوسع معانيها ، وهو المعنى الذى يعنى الظاهرى بما هو كذلك ، وهو نوع من الدراسة يقوم فى مقابل أى بحث نفسى فيزيائى (سيكوفيزيقي) للظاهرى . وهذا النوع من الدراسة هو الظاهريات " الخالصة " التى حددها هسرل وقدمها بوصفها أساس العلوم جميعا . وما دامت الظاهريات الخالصة بوصفها علما تظل خالصة ولا تفيد من عملية وضع الطبيعة على أنها موجودة ، فإنها لا يمكن إلا أن تكون بحثا فى الماهية ، ولا يمكن إطلاقا أن تكون بحثا فى الآنية (أى الموجود - هناك) .

وبعد ، فقد اعتمدنا فى الترجمة على الأصل الألمانى الذى نشره شيلازى :

Philosophie als strenge wissenschaft, hgg . von Szilasi, Frankfurt am main, KLOstermann, 1965 .

وإن كنا قد رجعنا أيضا الى الترجمتين : الفرنسية والانجليزية اللتين قام بهما كانتان لوير :

- La philosophie comme science rigoureuse, Paris, P.U.F. 1955 .
- Philosophy as Rigorous Science, in " Phenomenology and the Crisis of Philosophy " , N.Y., Harper and Row Publishers, 1965 .

د . محمود رجب

القاهرة ١٩٧١





لقد كان المطلب الدائم للفلسفة - منذ بداياتها الأولى - أن تكون علما دقيقا ، ٢٨٩
بل أن تكون ذلك العلم الذى يفى بأعمق المقتضيات النظرية للعقل ، ويمكن - من
وجهة نظر أخلاقية - دينية - من قيام حياة تحكمها معايير العقل الخالصة . وقد
استمر هذا المطلب ساريا ، عبر عصور التاريخ المختلفة ، بدرجة تتفاوت قوة
وضعفا ، ولكن لم يُصرف النظر عنه قط ، حتى فى العصور التى كان فيها
الاهتمام بالنظر الخالص والقدرة عليه موشكا على الزوال ، أو خلال تلك
العصور التى كانت القوى الدينية فيها تقيد حرية البحث النظرى .

ومع ذلك ، فإن الفلسفة لم تستطع ، فى أى عصر من عصور تطورها ، أن
تحقق هذا المطلب : أى أن تكون علما دقيقا ، حتى فى العصر الحديث الذى
يمضى قدما ، برغم كل ما فى اتجاهاته الفلسفية من تعدد وتعارض ، فى مسار
موحد فى جوهره ، ابتداء من عصر النهضة إلى وقتنا الحاضر . نعم إن الطابع
الغالب على الفلسفة الحديثة لا يقوم فى استسلامها ، بطريقة ساذجة ، للنزوع
Trieb الفلسفى ، بل بالأحرى فى محاولتها أن تبني نفسها علما دقيقا ، عن
طريق التأمل النقدي ، ويفحصها لمنهجها على نحو أعمق دائما . ولكن الثمرة
الوحيدة الناضجة لهذه الجهود كانت تأسيس العلوم الطبيعية والعلوم
الإنسانية الدقيقة وتحقيق استقلالها ، فضلا عن تأسيس المباحث الجديدة
للرياضة البحتة وتحقيق استقلالها . أما الفلسفة ، حتى بمعناها الخاص الذى
يأخذ فى التميز لأول مرة فى عصرنا الحاضر فقد ظلت ، كما كانت من قبل ،
تفتقر إلى طابع العلم الدقيق ، بل إن دلالة هذا التميز قد بقيت دون تحديد علمى
دقيق . ومسألة ما بين الفلسفة والعلوم الطبيعية والإنسانية من صلات ، ومسألة
أن نتبين إن كان الطابع الفلسفى على التخصيص لعملها - الذى يتصل مع ذلك
بالطبيعة والروح الإنسانية إتصالا جوهريا - يتطلب ، من حيث المبدأ ، مواقف ٢٩٠
جديدة ، تقدم معها ، من حيث المبدأ ، أهداف ومناهج جديدة ، ومن ثم مسألة أن

نتبين إن كان هذا الطابع الفلسفى يدخلنا ، بالمثل ، فى بعد Dimension جديد أو أنه يقع والعلوم التجريبية للطبيعة والروح الانسانية ، فى مستوى واحد - أقول إن تلك المسائل كلها ماتزال حتى اليوم مثار جدل . وكل ذلك يبين أن الدلالة الحقة للمشاكل الفلسفية لم تبلغ هى ذاتها مرتبة الوضوح العلمى .

ولذلك ، فإن الفلسفة التى تُعدّ ، وفقا لغايتها التاريخية ، أسمى العلوم جميعا وأدقها ، تلك الفلسفة التى تمثل مطلب الإنسانية الدائم فى المعرفة الخالصة والمطلقة (وفى القيمة والإرادة الخالصة والمطلقة ، وهو ما لا ينفصل عن المطلب الأول) عاجزة عن أن تتبنى علما دقيقا . فالمعلّمة القديرة للأعمال الخالدة للإنسانية عاجزة تماما عن أن تتعلّم ، أعنى : أن تتعلم بطريقة صحيحة موضوعيا . وقد كان كُنْتُ يحب أن يقول : ليس فى استطاعتنا أن نتعلم الفلسفة ، بل التفلسف فحسب . فماذا يكون هذا إن لم يكن اعترافا بالطابع غير العلمى للفلسفة ؟ إن العلم بقدر ما يكون علما بحق ، يمكن تعليمه وتعلمه ، وبنفس المعنى أينما كان . غير أن التعلم بطريقة علميه ماهو ، فى أى مكان ، بقبول سلبى لمادة غريبة عن الذهن ، ذلك أنه يعتمد ، فى كل الأحوال ، على التلقائية ، وعلى ترديد باطن للأنظار العقلية التى حصلتها العقول الخلّاقة ، وفقا لمقدمات ونتائج ، ولأن مثل هذه الأنظار المتصورة والمؤسسة على نحو موضوعى لا توجد فى الفلسفة ، أو بعبارة أخرى : لأنه لم يزل يعوزنا ، فى الفلسفة ، مشاكل ، ومناهج ، ونظريات محددة تحديداً محكما ، وموضحة توضحيا كاملا من حيث معناها - فإن من غير الممكن تعلم الفلسفة .

أنا لا أقول إن الفلسفة علم ناقص ، بل أقول ببساطة أنها ليست بعد علما ، وأنها لم تخط بعد خطواتها الأولى بوصفها علما . وأنا فى ذلك أتحذ معيارا لقولى هذا من أية شذرة ، ولو كانت بالغة الصغر ، تؤلف جزءا من مضمون مذهب نظرى أسس بطريقة موضوعية " إن من المعترف به أن العلوم كلها

ناقصة، بما فى ذلك العلوم المضبوطة التى نعجب بها أيما اعجاب . فهى ، من جهة ، ناقصة بسبب الأفق اللانهائى للمشاكل القائمة بغير حل ، والتى لن تدع النزوع إلى المعرفة يخمد أبدا . ولها ، من جهة أخرى ، عيوب عديدة فى مضمونها الذى تكون بالفعل ، ففى هذا الموضع أو ذاك نلقى فى الترتيب المنهجى للبراهين والنظريات بقايا غموض أو بقايا أوجه نقص . لكن هناك ، كما هى الحال دائما ، مضمونا حاضرا لهذه العلوم ، يستمر فى النمو والتشعب . وما من إنسان عاقل يستطيع أن يشك فى الحقيقة الموضوعية لنظريات الرياضة وعلوم الطبيعة المثيرة للإعجاب ، أو أن يشك على الأقل ، فيما لهذه النظريات من احتمال قائم على أسس موضوعية . ففى هذه العلوم لا محل ، على وجه العموم ، ٢٩١ " للآراء " ، و " الحدوس " و " وجهات النظر " الخاصة . وبمقدار ما توجد هذه الأمور فى أى مبحث من المباحث ، لا يكون هذا المبحث علما محققا بعد ، بل علما فى طريقه إلى التحقق فحسب ، ويحكم عليه بوجه عام على هذا الأساس^(١) .

على أن النقص فى الفلسفة من ضرب مختلف تماما عن نقص العلوم جميعا ، وهو النقص الذى وصفناه توا . ففى الفلسفة لا يقتصر الأمر على كونها تملك نسقا من التعاليم يتسم بالنقص ولا يكون قاصرا إلا فى حالات بعينها ، بل هى ببساطة لا تملك مثل هذا النسق البتة . ذلك أن كل شئ فى الفلسفة موضوع

(١) فى هذا الصدد لا أقصد ، بطبيعة الحال ، الإشارة إلى المسائل المتنازع عليها فى ميدان الرياضة - الفلسفة أو فى ميدان علوم الطبيعة . فهذه المسائل ، اذا ما نظر إليها بدقة ، لا تتعلق ، فى الحقيقة ، بنقاط منعزلة فى المضمون فحسب ، بل تتعلق " بمعنى " الانجاز العلمى بأكمله لهذه المباحث . وهذه المسائل يمكن أن تبقى ويجب أن تبقى متميزة من المباحث ذاتها ، نظرا إلى أنها محايدة بقدر كاف بالنسبة إلى الغالبية العظمى من ممثلى هذه المباحث . وكلمة " فلسفة " قد تعنى ، من حيث علاقتها بأسماء العلوم كلها نوعا من الأبحاث يزد سائر الأبحاث الأخرى ببعد جديد بمعنى معين ، وبذلك يزد بها بكمال أخير . لكن كلمة " بعد " تدل : فى الوقت ذاته ، على أن : العلم الدقيق يظل علما ، والمضمون المذهبى يظل مضمونا ، حتى لو لم يكن الانتقال إلى هذا البعد الجديد قد حدث بعد .

للجدل ، وكل موقف يتخذ هو مسألة اقتناع شخصى ، أو تفسير مدرسة ، أو "وجهة نظر" .

إن ما تقدمه لنا المؤلفات العلمية الكبرى المخصصة للفلسفة فى العصور القديمة والحديثة على أنه مشاريع ، لقمين بأن يقتضى من العقل عملا جادا ، بل وعملا ضخما لا حد له ، فضلا عن أن فى استطاعته أن يمهّد الطريق فى المستقبل لإقامة أنظمة مذهبية دقيقة علميا . غير أننا لا نستطيع أن نتبين شيئا فى هذه المؤلفات يمكن أن يكون هو الأساس لعلم فلسفى . وما من أمل فى أن نقتطع - إن جاز هذا التعبير - بمقص النقد ، من هذا المؤلف أو ذاك ، شذرة مبحث فلسفى .

هذا الاعتقاد يجب أن نعبر عنه ، من جديد ، بصراحة وأمانة ، وفى هذا المكان بالذات ، أى فى مستهل مجلة " اللوغوس " التى تريد أن تكون شاهدا على عملية تغيير عظيمة فى الفلسفة ، وأن تمهد الأرض " لنسق " للفلسفة مقبل . ذلك لأن هذا التأكيد القاطع للطابع غير العلمى للفلسفة السابقة بأكملها ، يثير مسألة هى أن نعرف إن كانت الفلسفة ما تزال ترغب ، فى أن تتمسك بهدفها فى أن تكون علما دقيقا ، وإن كانت رغبته هذه ممكنة وواجبة . وماذا ينبغى أن تعنى هذه " الثورة " الجديدة بالنسبة إلينا ؟ أليكون معناها التخلّى عن فكرة العلم الدقيق ؟ . وماذا ينبغى أن يعنى " النسق " ؟ المنشود الذى ينبغى أن نتخذه مثلا أعلى يرشدنا فى معميات أو غياهب Niederungen عملنا الباحث ؟ هل يعنى " نسقا " أو " مذهبيا " فلسفيا بالمعنى التقليدى للكلمة ، شبيها بمنيرفا ، ٢٩٢ التى تخرج مكتملة مزودة بسلحها من رأس عبقرى خلّاق - كما تحفظ فى مقبل الأيام ، جنبا إلى جنب مع مثيلاتها الأخرى من المنيرفات ، فى متحف التاريخ الصامت ؟ أم أنه يعنى نسقا فلسفيا من النظريات ، يبدأ - بعد تمهيدات ضخمة

عبر الأجيال - من أسفل ، على أساس لا يتطرق إليه الشك ، ويرتفع إلى أعلى ككل بناء متين ، بحيث نضع حجرا فوق حجر ، كل منهما صلب كالآخر وفقا لخطة موجهة ؟ . حول هذه الأسئلة يجب أن تختلف العقول وتتشعب الطرق.

إن " الثورات " الحاسمة بالنسبة إلى تقدم الفلسفة ، إنما هي تلك التي يتم فيها هدم إدعاء الفلسفات السابقة أنها علم ، عن طريق نقد طريق سيرها العلمى المزعوم . وعندئذ تنهض الرغبة الواعية تماما ، لتتشمى ، من جديد وعلى نحو جذرى ، الفلسفة بمعنى العلم الدقيق ، موجهة ومحددة ترتيب المهام التي يتحتم علينا القيام بها . وأولى هذه المهام هي أن يركز الفكر جماع طاقته في أن يوضح ، عن طريق إجراء فحص منهجى ، شروط العلم الدقيق توضحيا كاملا ، وهي الشروط التي كانت الفلسفات السابقة تغفلها أو تسيئ فهمها بصورة ساذجة - وذلك لكى يحاول الفكر فيما بعد تأسيس بناء جديد لنظرية فلسفية . مثل هذه الرغبة الواعية تماما في إنشاء علم دقيق ، كانت تغلب على الثورة السقراطية - الأفلاطونية في الفلسفة ، كما كانت تغلب ، في مطلع العصر الحديث ، على ردود الفعل العلمية على الفلسفة المدرسية - خاصة الثورة الديكارتية . وما لبثت الدفعة المحركة لهذه الرغبة أن انتقلت إلى الفلسفات الكبرى في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كما تجددت ، بنشاط بالغ ، في نقد العقل عند كنت ، بل ظلت هي المسيطرة على تفلسف فشته . وفي كل مرة كان البحث يستهدف من جديد ، البدايات الحقة ، والصياغة الحاسمة للمشاكل ، والمناهج السليمة .

غير أن الموقف لم يبدأ في التحول إلا عند ظهور الفلسفة الرومانتيكية . فعلى الرغم من أن هيجل يتمسك هو أيضا بما في منهجه ومذهبه من صحة مطلقة ، فإن نسقه الفلسفى يفتقر إلى ذلك النقد للعقل الذى هو الشرط الأول لقيام فلسفة علمية . ومن الواضح فى هذا الصدد أن فلسفة هيجل - مثلها كمثّل الفلسفة

الرومانتيكية بوجه عام - قد أدت ، فى السنوات اللاحقة عليها ، إما إلى إضعاف النزوع إلى تكوين علم فلسفى دقيق وإما إلى تزيفه .

ففيما يتعلق بالنقطة الأخيرة ، وهى الميل الى التزييف ، فنحن نعلم تماما أن الفلسفة الهيجلية قد أثارت ، هى والتقدم الذى أحرزته العلوم المضبوطة ، ردود فعل ، اكتسب على أثرها المذهب الطبيعى فى القرن الثامن عشر دفعة بالغة القوة ، وأصبح هذا المذهب الطبيعى ، بنزعته الشكية التى كانت تدحض كل طابع مثالى وكل طابع موضوعى مطلق - يتحكم فى " النظرة العامة إلى العالم " ٢٩٣ Weltanschauung وفلسفة العصر القريب .

وأما من الناحية الأخرى ، فقد كان للفلسفة الهيجلية ، من حيث هى ميل إلى إضعاف النزوع العلمى فى الفلسفة ، عواقب نشأت عن نظرياتها فى التعبير النسبى لكل فلسفة بحسب عصرها . ولا شك أن لهذه النظرية ، فى نسق يدعى الصحة المطلقة ، معنى مختلفا تمام الاختلاف عن المعنى الذى ينسبها إليها المذهب التاريخى ، وهو المعنى الذى أخذت به تلك الأجيال التى فقدت - بفقدان إيمانها بفلسفة هيجل - كل إيمان بقيام فلسفة مطلقة أيا كانت . ونتيجة لتحول فلسفة التاريخ الميتافيزيقية عند هيجل إلى مذهب تاريخى شكى ، فقد تحدد الآن وبصورة جوهرية قيام الفلسفة الجديدة : " فلسفة النظرة العامة إلى العالم " . فهذه الفلسفة يبدو أنها تنتشر بسرعة فى أيامنا هذه . فضلا عن أنها ، برغم جدالها ضد المذهب الطبيعى على وجه الخصوص وبالمثل ضد المذهب التاريخى فى بعض الأحيان لم ترغب قط فى أن تكون فلسفة شكية . غير أن هذه الفلسفة بقدر ما لا تظهر نفسها ، على الأقل فى مقصدها وطريق سيرها ، خاضعة بعد لتلك الرغبة الجذرية فى تكوين نظرية علمية ، وهى الرغبة التى شكلت التقدم الكبير فى الفلسفة الحديثة حتى عصر كنت - فإن ماسبق أن ذكرته متعلقا بإضعاف النزوع العلمى فى الفلسفة لينطبق عليها بوجه خاص .

إن الحجج التي سوف نقدمها في الصفحات التالية تتأسس على اعتقاد مؤداه : أن أسمى ما في الثقافة الإنسانية من اهتمامات يتطلب انشاء فلسفة علمية دقيقة ، بحيث يترتب على ذلك أنه إذا تعين علي ثورة فلسفية في عصرنا الحاضر أن تبرر وجودها ، فلا بد وأن يحركها في كل حالة، ذلك المقصد الذي يستهدف ارساء أساس تقوم عليه الفلسفة بمعنى العلم الدقيق . وهذا المقصد ليس غريباً البتة عن العصر الحاضر ، ذلك أنه مقصد حي تماماً داخل المذهب الطبيعي السائد في زمننا هذا . فالمذهب الطبيعي يسعى ، منذ البداية ويعزم لا يلين ، إلى تحقيق ذلك المثل الأعلى الذي يتمثل في إنجاز إصلاح علمي دقيق في الفلسفة، بل ويعتقد أنه قد حقق في كل العصور ، سواء في أشكاله القديمة أو الحديثة، هذه الفكرة . غير أن ذلك كله إنما يحدث - إذا ما نظر إليه من حيث المبدأ - بصورة يشوبها ، من الأساس ، الخطأ على المستوى النظري ، ويشكل ، من وجهة نظر التطبيق العملي ، خطراً متزايداً على ثقافتنا . وإنه لمن الأهمية بمكان أن نمارس اليوم نقدا جذريا للفلسفة الطبيعية . فنحن نحتاج أول ما نحتاج إلي نقد إيجابي للمبادئ والمناهج في مقابل نقد سلبي خالص يقوم على أساس نقد النتائج . ذلك أن نقدا كهذا هو وحده القادر على أن يحافظ على ٢٩٤ سلامة الإيمان بإمكان قيام فلسفة علمية ، وهو إيمان تزعزع أركانه النتائج المحالة التي يتضمنها مذهب طبيعي يبنى على علم التجربة الدقيق . والحجج التي يتضمنها الجزء الأول من هذه الدراسة مقدر لها أن تقدم مثل هذا النقد الإيجابي .

أما فيما يتعلق بالثورة التي نلاحظها بكثرة في عصرنا الحاضر ، فالواقع أنها - وهذا هو ما يبررها - ذات اتجاه مضاد ، في جوهره ، للمذهب الطبيعي . ويبدو مع ذلك أنها ترغب - تحت تأثير من المذهب التاريخي - في الابتعاد عن خط الفلسفة العلمية والاتجاه ببساطة ، نحو فلسفة في النظرة العامة إلى العالم.

والجزء الثانى من هذه الدراسة مخصص لتقديم عرض - قائم على أساس المبادئ - لأوجه الاختلاف بين هاتين الفلسفتين : (المذهب التاريخى وفلسفة النظرة العامة إلى العالم) ، وتقويم ما لكل من مبررات .

فلسفة المذهب الطبيعى

المذهب الطبيعى ظاهرة ترتبت على اكتشاف الطبيعة ، أى الطبيعة منظورا إليها على أنها وحدة للوجود الزمانى - المكانى تخضع لقوانين طبيعية مضبوطة . وبالتحقيق التدريجى لهذه الفكرة فى مجال العلوم الطبيعية الدائمة التجدد والتي تؤسس ثروة وافرة من المعرفة الدقيقة - أخذ المذهب الطبيعى فى الانتشار باطراد . وعلى نحو مماثل تماما نشأ بعد ذلك المذهب التاريخى بوصفه ظاهرة مترتبة على " اكتشاف التاريخ " وتأسيس علوم إنسانية دائمة التجدد . وبحسب العادة الغالبة على كل من عالم الطبيعة وعالم الإنسانيات فى فهم الأمور فإن عالم الطبيعة يميل إلى النظر إلى كل شيء على أنه طبيعة ، وعالم الانسانيات يرى كل شيء كما لو كان روحا ، أو كانه خلق تاريخى ، ومن ثم يميل كل منهما إلى تزييف معنى ما لا يمكن أن يرى على طريقته الخاصة . وعلى هذا ، فإن العالم الذى يقول بالمذهب الطبيعى - وهو الذى يهمنى الآن أخذ موقفه خاصة بعين الاعتبار - لا يرى شيئا سوى الطبيعة ، والطبيعة الفيزيائية أولاً . فكل ما هو موجود إما أن يكون هو نفسه فيزيائيا ينتمى إلى الكلية Zusammenhang الموحدّة للطبيعة الفيزيائية وإما أن يكون نفسياً . غير أنه فى الحالة الأخيرة لن يكون إلا مجرد متغير يتوقف فى وجوده على الفيزيائى . ولن يكون - فى أحسن الأحوال - إلا ظاهرة ثانوية "تلازم الفيزيائى على نحو متوازن" ، ذلك أن كل ما هو موجود إنما ينتمى إلى طبيعة نفسية - فيزيائية ، أى أنه محدد بقوانين محكمة تحديداً قاطعا . والحق أنه ما من شيء جوهرى بالنسبة إلينا يتغير فى

هذا التفسير ، إذ كانت الطبيعة الفيزيائية بالمعنى الذى تتخذه فى المذهب الوضعى (سواء أكان مذهباً وضعياً يقوم على أساس فلسفة كنت مُفسّرة من خلال المذهب الطبيعى أو كان مذهباً وضعياً يجدد فلسفة هيوم ويطورها على نحو متسق) تتحل، على طريقة المذهب الحسى ، إلى مركبات من الإحساسات ، أى إلى ألوان ، وأصوات ، وضغوط .. إلخ ، وإذا كان ما يسمى بالطبيعة النفسية ينحل بالمثل إلى مركبات مكملّة من نفس هذه الإحساسات أو من إحساسات أخرى غيرها .

إن ما يميز المذهب الطبيعى فى جميع صورته المتطرفة والمتسقة ، ابتداء من المذهب المادى فى صورته الشعبىة إلى أحدث صور المذهب الواحدى - الحسى ومذهب الطاقة الحية ، خاصيتان : تطبيع الشعور Naturalisierung des Be-^{٢٩٥} wusstseins من ناحية ، بما فى ذلك جميع معطيات الشعور المحايثة القصديّة . ومن ناحية أخرى تطبيع الأفكار Naturalisierung der Ideen وبالتالي سائر المثل العليا والمعايير المطلقة .

ومن وجهة النظر الأخيرة نجد أن المذهب الطبيعى يفند - دون أن يدرى - نفسه بنفسه . فلو أخذنا المنطق الصورى دليلاً نموذجاً لكل طابع مثالى فى للتفكير ، فسوف نتبين أن المذهب الطبيعى يفسر المبادئ المنطقية الصورية ، وهى تلك التى تسمى " بقوانين الفكر " - يفسرها على أنها قوانين طبيعية لتفكير. وقد بينا بالتفصيل فى موضع آخر^(١) . أن هذا التفسير يحمل معه ذلك الضرب من الإحالة الذى يميز - على الأصالة - كل نظرية من نظريات المذهب الشكى . وفى مقدور المرء أيضاً أن يوجه نقداً جذرياً من هذا القبيل إلى مبحث القيم والفلسفة العلمية (بما فى ذلك علم الأخلاق) فى المذهب الطبيعى ، بل وإلى الممارسة التطبيقية لمبادئ المذهب الطبيعى ، لأن أضرب الإحالة Wieder-

(١) قارن كتابى : " الأبحاث المنطقية " ، المجلد الأول ، ١٩٠٠ .

sinnigkeiten النظرية لابد أن ينتج عنها ضروب من الإحالة (أى ضروب من عدم الاتساق واضحة) فى أساليب السلوك الفعلية، سواء أكانت أساليب نظرية ، أو قيمية، أو أخلاقية. ونستطيع أن نقول بلا تعسف إن الفيلسوف الذى يأخذ بالمذهب الطبيعى هو - إذ ما نظر إليه بدقة - مثالى وموضوعى فى أسلوب سلوكه . فهو مشبع برغبة عارمة فى أن يجعل من كل ما هو حقيقة ، وكل ما هو جميل وخير بحق ، معروفاً بطريقة علمية ، أى بطريقة لايمكك ازاءها أى إنسان عاقل إلا القبول ، ويود أن يعرف كيف يحدده (أى هذا الذى هو حق بحق ، وجميل بحق ، وخير بحق) وفقاً لماهيته الكلية، وأن يعرف النهج الذى يمكنه من الحصول عليه فى الحالات الخاصة . ويعتقد هذا الفيلسوف أنه قد بلغ ، عن طريق العلم الطبيعى وعن طريق فلسفة تقوم على هذا العلم نفسه الجانب الأكبر من هدفه. وبحماسة بالغة بثها فيه مثل هذا الشعور ، نراه ينصب نفسه علماً ومصلحاً عملياً فيما يتعلق بالحق والخير والجمال من وجهة نظر علم الطبيعة. غير أنه لمثالى ذلك الذى يقدم نظريات - ويعتقد أنه يبررها - تنكر ما يفترضه ضمناً فى أسلوبه المثالى فى السلوك ، سواء أكان ذلك أثناء إقامته لنظريات أو أثناء تبريره وتزكيته لقيم أو معايير عملية على أنها هى الأجمل والأفضل . ذلك لأن لديه ، على أية حال ، افتراضاته الضمنية، بقدر ما يقيم نظريات على الاطلاق ، ويقدر ما يضع بالمثل أية قواعد عملية ، يتعين على كل امرئ أن يسترشد بها فى ممارسته لإرادته وسلوكه . فالفيلسوف القائل بالمذهب الطبيعى يعلم ويعظ ، ويدعو إلى مراعاة الأخلاق moralisiert ، ويصلح^(١) . بيد أنه ينكر ما يفترضه ضمناً كل موعظة، وكل مطلب إذا ما أريد أن يكون له معنى وكل ما فى الأمر أنه لا يعظ مثل قدماء الشكاك بقوله صراحة expressis verbis إن الموقف الوحيد المعقول هو إنكار العقل - سواء أكان هذا العقل هو العقل

(١) هكل Hackel وأستفالد Ostwald ما خير نموذجين لذلك .

النظري أو العقل القيمي (المتصل بمجال القيم) والعملى . فمما لاشك فيه أنه يطرح ، جانباً مثل هذا الرأي . ومن هنا لم تكن الحالة فى حالته ظاهرة بل تظل ٢٩٦ خافية عليه نتيجة لصبغه العقل بصبغة طبيعية .

ومن وجهة النظر هذه نستطيع أن نقول إن الجدل فى هذه المسألة قد حُسم بالفعل ، حتى على الرغم من أن تيار المذهب الوضعى والمذهب البراجماتى - الذى يفوق المذهب الوضعى فى نزعته النسبية - لا يزال فى صعود . وبطبيعة الحال فإن هذا الوضع يكشف بوضوح عن مدى تهافت الحجج المبنية على النتائج ، من حيث قدرتها على التأثير العملى . فالأفكار السابقة تعمى البصيرة، ومن لا يرى إلا وقائع التجربة ، ولا يسلم بأية قيمة داخلية إلا للعلم المؤسس على التجربة ، لن تقلقه النتائج المحالة التى لا يمكن ، تجريبياً ، إثبات أنها تناقض وقائع الطبيعة ، فهو ينحى مثل هذا الضرب من الحجاج جانباً على أنه "نزعة مدرسية" هذا فضلاً عن أن الحجج القائمة على أساس النتائج تفضى بسهولة إلى نتيجة مكروهة فى الاتجاه الآخر ، أى عند هؤلاء الذين يميلون إلى التسليم بما لهذه الحجج من قوة برهانية . ومادام المذهب الطبيعى ، الذى كان يرغب فى إنشاء فلسفة تُبنى على العلم الدقيق ويوصفها علماً دقيقاً ، يبدو معيباً تماماً ، فإن الهدف من منهجه يبدو هو نفسه الآن معيباً كذلك ، لاسيما وأن هناك اتجاهاً شائعاً بين من لا يأخذون بالمذهب الطبيعى أيضاً، ينظر إلى العلم الوضعى على أنه هو وحده العلم الدقيق ولا يعترف بفلسفة على أنها علمية إلا إذا كانت تتأسس على مثل هذا العلم . غير أن ذلك كله إن هو إلا فكرة مسبقة، والرغبة فى الانحراف - لذلك السبب - عن خط العلم الدقيق هى غلطة أساسية، ذلك أن فضل المذهب الطبيعى والجانب الكبير من قوته فى عصرنا يتمثلان فيما يبذله من جهد ، يحاول به تحقيق مبدأ الدقة العلمية فى جميع مجالات الطبيعة والروح ، وفى النظرية والتطبيق ، وهو ذلك الجهد الذى يسعى عن طريقه إلى حل

المشكلات الفلسفية للوجود والقيمة حلاً علمياً على حد زعمه، معتقداً أنه يتبع فى سيره أسلوب " العلم الطبيعى الدقيق " . والحق أنه قد لا تكون ، فى الحياة المعاصرة كلها ، فكرة أقوى وأكثر إلحاحاً فى تقدمها من فكرة العلم، فلن يعوق مسيرتها الظافرة شيء . والواقع أنها طبقاً لأهدافها المشروعة فكرة محيطة بكل شيء ، ولو نظرنا إليها فى أكمل حالات تحققها لكانت هي العقل ذاته ، الذى لا يمكن أن توجد سلطة أخرى تعادله أو تغلو عليه . وعلى هذا ، فالى مجال العلم الدقيق تنتمى ، بلا جدال ، سائر المثل العليا النظرية، والقيمية ، والعملية التى يزيّفها المذهب الطبيعى فى نفس الوقت الذى يضيف فيه عليها دلالة تجريبية جديدة .

ومع ذلك ، فالاعتقادات العامة ضئيلة القيمة إن لم يستطع المرء تأسيسها بالبراهين ، والآمال فى إقامة علم ضعيفة الدلالة إذا ما عجز المرء عن تبين الطرق المؤدية إلى تحقيق أهدافها . وعلى هذا ، فإذا شئنا ألا تظل الفكرة القائلة بإقامة فلسفة بوصفها علماً دقيقاً، بالمشكلات المذكورة أنفاً وبجميع المشكلات ٢٩٧ المتصلة بها اتصالاً جوهرياً فكرة لا حول لها ولا قوة ، فلا بد أن تكون أمام أعيننا إمكانات واضحة لتحقيقها . فمن خلال توضيح المشكلات ومن خلال التعمق فى معناها الخاص ، يتحتم على المناهج المطابقة لهذه المشكلات - لأنها مناهج تستلزمها نفس ماهية هذه المشكلات - أن تفرض نفسها علينا بطريقة معقولة تماماً ، ذلك هو المطلوب تحقيقه ؛ وبذلك نحصل فى وقت واحد على إيمان حى وفعال بالعلم، وعلى بداية فعلية له ، فمن وجهة النظر هذه لا يكون لتفنيد المذهب الطبيعى على أساس نقد نتائجه - وإن يكن بلا ريب عظيم النفع ولا محيص عنه فى مواضع أخرى - إلا قيمة جد ضئيلة فى نظرنا . لكن الأمر يختلف اختلاف كاملاً إذا ما مارسنا على أسس المذهب الطبيعى ومناهجه وانجازاته ذلك النقد الإيجابى ، والقائم بالتالى على نقد المبدأ الذى يبنى عليه هذا المذهب . فلأن

النقد يميز ويوضح ، ولأنه يجبرنا على تتبع المعنى الحق للدوافع الفلسفية التي غالبا ما تُصاغ صياغة بالغة الغموض والتشكيك على أنها مشاكل فإنه كيفل بأن يستثير امتثالات عن غايات ووسائل أفضل ، وبأن يدعم خطتنا دعما ايجابيا . بهذ الهدف الذي نضعه فى حسابنا نناقش ، بتفصيل أكبر ، ذلك الطبع المميز للفلسفة التي نحاربها ، والذي سبق أن أوضحناه بوجه خاص ، وأعنى به : تطبيع الشعور . وفى الصفحات التالية تظهر من تلقاء نفسها الارتباطات الأوثق بالنتائج الشكية التى سبق أن أشرنا إليها . وسوف نعمل فى الوقت ذاته على توضيح المجال الذي يُقصد من اعتراضنا الثانى الخاص بتطبيع الأفكار أن يدور ويؤسس فيه .

إننا ، بطبيعة الحال ، لا نوجه تحليلاتنا النقدية إلى تلك التأملات الشعبية للغاية التى يقول بها علماء الطبيعة المتفلسفون ، بل بالأحرى نحن نهتم بالفلسفة العنيدة التى تقدم نفسها فى سميت علمى حقيقى . غير أن اهتمامنا ينصب ، بوجه خاص ، على منهج ومبحث ، تعتقد هذه الفلسفة أنها قد بلغت عن طريقها ، وعلى نحو نهائى ، مرتبة العلم الدقيق . ويبلغ وثوقها من ذلك حدا يجعلها تنظر إلى أساليب التفلسف الأخرى كلها بعين الازدراء . فالعلاقة بين هذه الأساليب وبين أسلوبها العلمى الدقيق فى التفلسف أشبه ما تكون بالعلاقة بين الفلسفة الطبيعية المشوشة فى عصر النهضة وبين ميكانيكا جاليليو المضبوطة وقت أن كانت هذه الأخيرة فى عنفوان قوتها ، أو بالعلاقة بين السيمياء وبين كيمياء لافوازييه المضبوطة فإذا تساءلنا الآن عما هي تلك الفلسفة المضبوطة - وإن لم تتطور بعد تطورا كبيرا - التى تماثل الميكانيكا المضبوطة ، لقيل لنا : إنها علم النفس السيكوفيزيقي وخاصة علم النفس التجريبي ، الذي لا يستطيع أحد أن يجادل فى بلوغه مرتبة العلم الدقيق . هذا - كما يقولون لنا - هو علم النفس العلمى الدقيق الذي طالما بحثنا عنه ، والذي أصبح أخيراً حقيقة واقعة . فعن

طريقه وبعد طول انتظار حصلت مباحث : المنطق ، والمعرفة ، والجمال ، والأخلاق، والتربية – علي أساسها العلمى . والواقع أن هذه المباحث قد سارت بالفعل علي الدرب المؤدى إلى تحولها إلى علوم تجريبية. فضلا عن أن علم ٢٩٨ النفس الدقيق يعد ، بلا ريب، هو الأساس الذى تقوم عليه العلوم الإنسانية بأسرها ، بل وتقوم عليه الميتافيزيقا بالمثل . غير أنه فيما يتعلق بالميتافيزيقا فإن من المعترف به أن علم النفس الدقيق ليس هو العلم المفضل أو الأوحى الذى تقوم عليه ، طالما أن علم الطبيعة الفيزيائى قد شارك أيضا وبنفس القدر فى عملية تأسيس هذه النظرية العامة للواقع (أى الميتافيزيقا) .

وها هى ذى اعتراضاتنا على هذه الادعاءات: فأولا ، يجب أن ندرك – كما تبين ذلك نظرة سريعة – أن علم النفس على وجه العموم ، بوصفه علما للوقائع ، عاجز عن تقديم أسس لهذه المباحث الفلسفية التى يتعين عليها الاهتمام بالمبادئ الخالصة لعملية وضع المعايير Normierung : أى بالمنطق الخالص ، ومبحث القيم الخالص ، ومبحث السلوك العلمى . وفى استطاعتنا أن نوهر على أنفسنا مشقة تقديم عرض أكثر تفصيلاً ، إذ من الواضح أن مثل هذا العرض لابد أن يرجع بنا القهقرى إلى تلك الإحالات الشكية التى سبق أن تناولناها بالمناقشة . أما فيما يتعلق بنظرية المعرفة التى يجب أن نميزها من المنطق الخالص ، بمعنى الرياضة الكلية mathesis universalis الخالصة (التى لا تتصل من حيث هى كذلك بعملية المعرفة) ، ففى وسعنا أن نتوسع فى الكلام ضد المذهب النفسى والمذهب الفيزيائى فى نظرية المعرفة ، وهو ما ينبغى علينا ها هنا أن نشير إلى بعض منه :

إن كل علم للطبيعة هو ، من حيث نقطة ابتدائه ، ساذج . ذلك أن الطبيعة التى يرغب فى بحثها هى ، بالنسبة إليه ، موجودة ببساطة هناك . فمما لاشك فيه أن الأشياء موجودة : موجودة بوصفها أشياء ساكنة ، أو متحركة ، أو

متغيرة فى مكان لانهائى ، أو بوصفها أشياء زمانية تحدث فى زمان لانهائى . ونحن ندركها بحواسنا ، ونصفها بأحكام بسيطة منبعها التجربة . وهدف العلم هو أن يعرف هذه العطيات الواضحة بطريقة صحيحة موضوعية ، وعلى نحو علمى دقيق . ونفس هذا الكلام يصدق على الطبيعة بأوسع معانى هذه الكلمة ، أى بالمعنى النفسى الفيزيائى ، أو هو يصدق على العلوم التى تقوم ببحث هذه الطبيعة ، ويصدق بالتالى على علم النفس بوجه خاص . فالنفسى لا يؤلف عالماً قائماً بذاته ، ذلك أنه قد أعطى بوصفه أنا أو بوصفه تجربة معيشة لانا Icher-lebnis (نذكر بهذه المناسبة أن التجربة المعيشة تقال هنا بمعنى مختلف تماماً عن معناها فى مواضع أخرى) . وهذا النفسى إنما يتبدى ، على نحو تجربى ، مرتبطاً بأشياء فيزيائية تسمى بالأجسام . وهذه الحقيقة هى أيضاً معطى سابق Vorgegebenheit واضح بذاته . إذن ، فمهمة علم النفس هي أن يستكشف ، بطريق علمية ، هذا العنصر النفسى داخل الكلية الفيزيائية النفسية للطبيعة ، وهى الكلية التى يحدث فيها ، بلا جدال ، هذا العنصر النفسى ، وأن يحدده تحديداً صحيحاً موضوعياً ، وأن يكتشف القوانين التى بمقتضاها يتكون ويتبدل ، يظهر ويختفى . إن كل تحديد نفسى هو ، بحكم طبيعته نفسها eo ipso ، تحديد نفسى فيزيائى ، وهذا يعادل قولنا بأوسع المعانى (وهو المعنى الذى سوف نلتزم به من الآن فصاعداً) بحيث أنه يأخذ دائماً دلالة فيزيائية تلازمه بشكل دائم لا ينقطع . بل إن علم النفس - هذا العلم القائم على التجربة - حين يهتم بدراسة ٢٩٩ أحداث الشعور المجردة ، ولا يهتم بدراسة العلاقات النفسية الفيزيائية بمعناها المألوف والمحدد للغاية ، فإنه ينظر إلى تلك الأحداث ، مع ذلك ، على أنها تنتمى إلى الطبيعة ، أى بوصفها منتمية إلى أضرب من الشعور Bewusstsein إنسانية أو حيوانية ، تتعلق بدورها بأجسام إنسانية أو حيوانية تعلقاً لا شبيهة فيه ولا لابس ، واستبعاد هذا التعلق بالطبيعة سوف يجرد النفسى من طابعه

كواقعة طبيعية يمكن تحديدها موضوعياً وزمانياً ، أي باختصار ، سوف يجرده من طابعه كواقعة نفسية. وعلي هذا ، فعلينا أن نضع نصب أعيننا هذه الحقيقة : إن كل حكم نفسى يتضمن فى ذاته، على نحو صريح أو غير صريح، وضعاً للطبيعة الفيزيائية على أنها موجودة *esistenziale seatzung der physischen* . Natur

ويتضح ، نتيجة لذلك ، ما يأتى : إذا كانت هناك حجج حاسمة تثبت أن علم الطبيعة الفيزيائى لا يمكن أن يكون فلسفة بالمعنى الدقيق لكلمة ، ولا يمكن أبداً بأتى حال أن يستخدم أساساً تقوم عليه الفلسفة ، ولا يمكن أن يحقق قيمة فلسفية لأغراض الميتافيزيقا إلا على أساس فلسفة سابقة – فعندئذ يجب أن تكون كل الحجج التى من هذا القبيل قابلة للتطبيق على علم النفس .

على أن مثل هذه الحجج لاتعوزنا :

فحسبنا أن نتذكر فقط تلك " السذاجة " التى يقبل بها علم الطبيعة ، وفقاً لما ذكرناه آنفاً ، الطبيعة على أنها معطى . إنها لسذاجة أبدية فيه ، إن جاز هذا التعبير ، وهى على سبيل المثال ، تتكرر باستمرار فى كل مرحلة من مراحل سيره ، حيث يعود العلم الطبيعى إلى التجربة البسيطة – وفى النهاية يرتد كل منهج للعلم التجريبي راجعاً إلى التجربة ذاتها . صحيح أن العلم الطبيعى هو على طريقته الخاصة ، نقدى للغاية ، فالتجربة البسيطة المنعزلة ، حتى لو تراكمت ، ليست لها عنده إلا قيمة ضئيلة جداً . بل إنه فى تنظيم التجارب وارتباطها المنهجى ، وفى التفاعل بين التجربة والفكر، وهو تفاعل له قوانينه المنطقية المحكمة – فى هذا وحده تتميز التجربة الصحيحة من التجربة غير الصحيحة، وتحصل كل تجربة على درجة الصحة التى هى جديرة بها ، وتحقق معرفة بما هى كذلك معرفة بالطبيعة ، صحيحة موضوعياً . لكن مهما كان من

قدرة هذا الضرب من نقد التجربة على إرضائنا مادامنا نظل فى مجال علم الطبيعة ونفكر تبعا لوجهة نظره ، فإنه يظل من الممكن ، بل من المحتم ، قيام ضرب آخر مختلف تماماً من نقد التجربة أعنى نقداً يضع التجربة كلها بما هى كذلك ، وبالمثل أسلوب التفكير الخاص بالعلم التجريبي - يضعهما موضع التساؤل .

كيف يمكن التجربة بوصفها شعوراً (وعياً) أن تعطى موضوعاً أو أن تتصل به ؟ كيف يمكن التجارب أن يبرر بعضها بعضاً أو أن يصحح بعضها بعضاً على نحو متبادل ، وليس فقط أن يفند بعضها البعض الآخر وأن يدعم بعضها البعض الآخر على نحو ذاتى؟. كيف تستطيع لعبة الشعور (الوعى) الذى يتميز منطقها بأنه تجريبي ، أن تنشئ عبارات صحيحة موضوعياً ، صحيحة بالنسبة ٣٠٠ إلى الأشياء الموجودة فى ذاتها ولذاتها ؟ ولماذا لا تكون قواعد لعبة الشعور ، إن جاز هذا التعبير ، غير منطبقة على الأشياء ؟ كيف يتسنى لعلم الطبيعة أن يصبح مفهوماً فى جميع الحالات ، إلى هذا الحد الذى يعتقد معه أنه فى كل خطوة من خطوات طريق سيره إنما يضع ويعرف طبيعة هى طبيعة فى ذاتها - أقول : " فى ذاتها " فى مقابل السيل الذاتى للشعور ؟ - كل هذه الأسئلة تتحول إلى ألغاز بمجرد أن يصبح التأمل فيها تأملاً جاداً ، فمن المعروف تمام المعرفة أن نظرية المعرفة إنما هى ذلك المبحث الذى يريد الإجابة عن مثل هذه الأسئلة ، ومن المعروف أيضاً أن هذا المبحث لم ينجح حتى الآن ، وبرغم كل المجهود الفكرى الذى بذله أعظم الباحثين فيما يتعلق بهذه الأسئلة - فى أن يقدم عنها إجابة واضحة ، ومحددة ، وحاسمة علمياً .

إننا لا يلزمنا إلا شيء من الاتساق الدقيق نلتزمه فى تناول هذا الإشكال (وهو اتساق افتقرت إليه حقيقة نظريات المعرفة السابقة كلها) ، لكى نتبين بوضوح تلك الإحالة التى تتضمنها كل " نظرية للمعرفة قائمة على العلم الطبيعى "

ولكى نتبين بالتالى تلك الإحالة التى تتضمنها كل نظرية نفسية فى المعرفة . فإذا كانت بعض الألفاظ - بتعبير عام - كامنة ، من حيث المبدأ ، فى علم الطبيعة ، فعندئذ يكون من الأمور الواضحة بذاتها أن يتجاوز الحل الذى يقدم لهذه الألفاظ وفقاً للمقدمات والنتائج - يتجاوز ، من حيث المبدأ ، نطاق العلم الطبيعى ، ذلك أننا ندخل فى حلقة مفرغة ، إذا ما توقعنا من العلم الطبيعى أن يقدم هو نفسه الحل لأية مشكلة من المشكلات الكامنة فيه من حيث هو كذلك - وبالتالى ، الكامنة فيه تماماً ، من البداية إلى النهاية - أو حتى إذا ما وقع فى ظننا أن فى استطاعته الاسهام بأية مقدمات لحل هذه المشكلة .

ويتضح كذلك أن كل افتراض للطبيعة ، علمى أو سابق على العلم ، وبالمثل كل العبارات التى تتضمن أوضاعاً وجودية مطروحة للأشياء داخل إطار المكان ، والزمان ، والسببية.. إلخ . يجب ، من حيث المبدأ استبعادها من أية نظرية للمعرفة يراد لها أن تحتفظ بما لها من معنى واحد محدد . ولاشك أن ذلك الاستبعاد يتسع ليشمل أيضاً كل الأوضاع الوجودية الخاصة بالوجود العينى Dasein للباحث ، وقواه النفسية .. إلخ .

وعلاوة على ذلك تقول : إن نظرية المعرفة إذا أرادت ، مع ذلك ، أن تبحث العلاقة القائمة بين الشعور والوجود ، فإنها لن تستطيع أن تضع نصب عينيها إلا الوجود بوصفه متضامناً مع الشعور ، بوصفه شيئاً " مقصوداً " Gemeintes وفقاً لطريقة الشعور : أى بوصفه مدركاً ، أو متذكراً ، أو متوقعاً ، أو متمثلاً على هيئة صورة ذهنية ، أو متخيلاً ، أو متعيناً ، أو متميزاً ، أو معتقداً فيه ، أو مظلوناً ، أو مقوماً إلخ . واضح ، إذن ، أن البحث لابد أن يوجه صوب معرفة علمية ماهوية للشعور ، صوب ذلك الذى يجعل الشعور ذاته " هو ما هو " حسب ماهيته فى أشكالها القابلة للتمييز ، ولكن لابد أن يوجه ، فى الوقت نفسه ، إلى ما " يدل " عليه الشعور ، وبالمثل يوجه صوب تلك الأساليب المختلفة التى بمقتضاها ٣٠١

- طبقاً لماهية هذه الأشكال المشار إليها من قبل - يقصد الموضوعي Gegenstandliches : على نحو واضح أو غير واضح ، بالاحضار gegenwartigend أو الاستحضار vergegenwartigend بالرمز أو على هيئة صور ، مباشرة أو متخذاً من الفكر وسيطاً ، فى هذه الحالة من الانتباه أو تلك .. وهكذا إلى ما لا حصر له من الأشكال الأخرى، مبيناً ، فى النهاية الموضوعي على أنه هو ذلك الموجود وجوداً " صحيحاً " و " واقعياً " (فعلياً) .

إن على كل نمط من أنماط الموضوع يراد له أن يكون موضوعاً لقضية عقلية ولمعرفة سابقة على العلم أولاً ثم موضوعاً لمعرفة علمية بعد ذلك - عليه أن يتبدى فى المعرفة ، وبالتالي فى الشعور ذاته ، وعليه طبقاً لمعنى كل معرفة ، أن يدع نفسه يصل إلى حالة كونه معطى Gegebenheit . فأنماط الشعور كلها يجب أن تكون قابلة لأن تدرس فى كليتها الماهوية ، وإشارتها الراجعة إلى الصور السابقة لمعطى الشعور التى تنتمى إليها - مادامت هذه الأنماط تنظم غائياً ، إن صح هذا التعبير ، تحت اسم المعرفة ، بل وأكثر من ذلك ، مادامت تجمع فى مجموعات تبعا لمقولات الموضوع المختلفة - مثل مجموعات وظائف - المعرفة التى تتعلق بهذه المقولات بوجه خاص . وعلى هذا ، فلا بد أن يفهم معنى السؤال الخاص بالشرعية ، والذي يجب أن نطرحه إزاء كل فعل من أفعال المعرفة ، ولابد أن تكون ماهية البرهان الذى يقوم على أساس من الشرعية ، وماهية القدرة المثالية على التأسيس أو الصحة قابلة لأن توضح توضيحاً كاملاً - وذلك بالنسبة إلى مستويات المعرفة كله ، بما فى ذلك أعلى هذه المستويات جميعاً ، ألا وهى المعرفة العلمية .

فمعنى كون الموضوعية موجودة ، وكونها تظهر ، فى نطاق المعرفة ، بوصفها موجوداً ، وموجوداً على هذا النحو ، يجب أن يتضح ، بدقة وعلى نحو لا لبس فيه ، من خلال الشعور ذاته ، وبالتالي يجب أن يصبح ذلك مفهوماً تمام الفهم .

ولذلك فإن المطلوب هو القيام بدراسة للشعور فى مجموعه ، لأنه يدخل بحسب جميع أشكاله - فى الوظائف الممكنة للمعرفة . ولكن على قدر ما يكون كل شعور " شعوراً بـ " ، تكون الدراسة الماهوية Wesensstudium مشتملة كذلك على دراسة دلالة الشعور بما هى كذلك وعلى دراسة موضوعية الشعور بما هى كذلك، ذلك أن دراسة أى نوع من أنواع الموضوعية حسب ماهيتها العامة (وهى دراسة يمكن أن تستهدف اهتمامات أبعد من تلك الاهتمامات الخاصة بنظرية المعرفة وبحث الشعور) معناها الاهتمام بأحوال وجود الموضوعية كمعطى، واستنفاد ماهيتها فى عمليات " التوضيح" التى تخصها . وحتى إذا كان الاتجاه هنا ليس هو ذلك الاتجاه الذى ينصب على أنواع (أنحاء) الشعور وعلى دراسة ماهياتها ، فإن منهج التوضيح يستتبع ، مع ذلك، أن يكون من المستحيل - حتى فى هذه الحالة - تجنب التأمل فيما للوجود المقصود والوجود المعطى من أحوال. وفى مقابل ذلك فإن توضيح كل الأنواع الأساسية للموضوعية يعد ، فى كل حالة توضيحاً لا غناء عنه للتحليل الماهوى للشعور ، وهو، بناء على ذلك ، توضيح متضمن فى هذا التحليل ، وإن كان متضمناً - أولاً - فى تحليل يسير حسب نظرية للمعرفة يرى أن مهمته محصورة فى بحث المتضائفات . وهذا هو السبب ٣٠٢ فى ادراجنا أمثال هذه الدراسات كلها ، وإن كان من الواجب تمييز بعضها من بعض تميزاً نسبياً ، تحت اسم "دراسات ظاهريّة" .

بهذه الدراسات نجد أنفسنا ازاء علم لم يصل معاصروننا بعد إلى تصور مداه الواسع . صحيح أنه علم للشعور ، لكنه مع ذلك ليس علماً للنفس . إنه علم لظاهريات الشعور فى مقابل علم طبيعى عن الشعور ولكن مادام الأمر لا يتعلق ها هنا بأى نوع من الالتباس العرضى ، فلا بد أن نتوقع مقدماً أن يكون علم الظاهريات وعلم النفس مرتبطاً كل منهما بالآخر على نحو وثيق ، من حيث أن كليهما يهتم بالشعور ، حتى وإن كان ذلك اهتماماً يتم بطريقة مختلفة ووفقاً

لوجهة نظر مختلفة . وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بقولنا : إن علم النفس يهتم "بالشعور التجريبي" ، أى بالشعور من وجهة النظر التجريبية ، والشعور بوصفه موجوداً هناك (أنية) فى مجموع الطبيعة . أما علم الظاهريات فيهتم بالشعور "الخالص" أى بالشعور من وجهة النظر الظاهرياتية .

فإن كان ذلك صحيحاً ، ترتب عليه - دون انتقاص من الحقيقة القائلة بأن علم النفس ليس بفلسفة ولا يستطيع أن يكون فلسفة أكثر مما يستطيع ذلك علم الطبيعة الفيزيائي - إن علم النفس ينبغي عليه ، لأسباب جوهرية ، أن يكون على صلة وثيقة بالفلسفة (أعنى : من خلال مجال الظاهريات) ويجب أن يظل مصيره مرتبطاً بالفلسفة ارتباطاً وثيقاً للغاية . وأخيراً ، ففى مقدورنا أن نقول على سبيل التنبؤ : إن أية نظرية فى المعرفة قائمة على المذهب النفسى لابد أن تدين بوجودها لهذه الحقيقة وهى أنها تقع ، بنسبائها المعنى الحق لأشكال نظرية المعرفة ، فريسة لخلط يسهل الوقوع فيه على الأرجح ، بين الشعور الخالص والشعور التجريبي ، أو أنها ، بعبارة أخرى ، تقوم "بتطبيع" الشعور الخالص .

هذا هو ، فى الواقع ، تفسيرى ، وسوف يلقى فى الصفحات التالية مزيداً من التوضيح .

* * *

إن ما قلناه توأ على سبيل الإشارة ، وما قيل على وجه التخصيص ، عن الصلة الوثيقة بين علم النفس والفلسفة ، لا ينطبق إلا بدرجة ضئيلة جداً ، على علم النفس المضبوط الحدث الذى هو أبعد ما يكون عن الفلسفة . ولكن ، مهما كان من ادعاء هذا النوع من علم النفس أنه ، بفضل المنهج التجريبي ، علم النفس العلمى الوحيد ، ومهما كان من ازدرائه " لعلم النفس التأملى " فإننى أرى

لزام على أن أعلن أن رؤية القائل بأنه هو العلم النفسى (بآلف لام التعريف) ،
 أى علم النفس بالمعنى الكامل - ليمثل غلطة كبرى تنطوى على نتائج خطيرة .
 فالمبدأ الأساسى الذى يسرى فى هذا الفرع من علم النفس هو استبعاد كل
 تحليل مباشر وخالص للشعور (أى استبعاد التحقيق المنهجى " لتحليل "
 ٣٠٣ "وصف" المعطيات التى تقدم نفسها فى مختلف الاتجاهات الممكنة للرؤية
 المحايثة والباطنة) من أجل القيام بتثبيتات Fixierungen غير مباشرة لكل
 الوقائع النفسية أو الوقائع المتصلة بعلم النفس ، والتى تكتسب - دون تحليل
 للشعور كهذا - معنى مفهوما ، وإن اكتسبته فهو على أحسن الأحوال معنى
 مفهوم من الخارج . والواقع أنه لكى يحدد بطريقة تجريبية الاطرادات النفسية -
 الفيزيائية ، فإنه يكتفى بتصورات فجّة مصنفة فى فئات : مثل الإدراك الحسى ،
 والحدس التخيلى ، والتعبير ، والحساب ، والغلط فى الحساب وتقدير الكميات ،
 والتعرف ، والتوقع ، والحفظ ، والنسيان .. الخ . ولاشك أن الثروة الوافرة فى
 مثل هذه التصورات التى يمارس بها عمله إنما تحد - من ناحية أخرى - من
 الأسئلة التى يمكن أن يطرحها ومن الاجابات التى يمكن أن يحصل عليها .

ونستطيع أن نقول بلا تعسف إن العلاقة التى تقوم بين علم النفس التجريبى
 وعلم النفس الأصيل تماثل تلك العلاقة التى تقوم بين الإحصاء الاجتماعى وعلم
 الاجتماع الأصيل . إن مثل هذا النوع من الاحصاء يجمع وقائع لها قيمتها ،
 ويكشف فيها اطرادات لها قيمتها ، لكنها اطرادات من نوع غير مباشر إلى حد
 كبير . أما الفهم الصريح المباشر لهذه الوقائع والتوضيح الفعلى لها ، فلا يقدر
 على بلوغها إلا علم اجتماع أصيل ، أعنى : علم اجتماع يصل بالظواهر إلى
 حالة كونها معطيات مباشرة ويبحثها وفقا لما هيته . وعلى نحو مماثل نقول : إن
 علم النفس التجريبى إنما هو منهج لتحديد الوقائع والمعايير النفسية الفيزيائية
 (السيكوفيزيكية) التى قد تكون ذات قيمة ، لكنها تفتقر بدون علم منهجى للشعور

يستكشف النفسَ بطريقةٍ محايدة - إلى كل امكانية في أن تصبح مفهومة على نحو أعمق ، أو أن يحكم عليها بطريقة علمية بالغة الصحة .

فعلَم النفس المضبوط لا يدرك أن هاهنا يمكن عيب خطير في طريق سيره ويقل إدراكه لذلك بقدر ما يزداد حماسة في الهجوم على منهج الاستبطان ، حيث نراه يبذل طاقته محاولاً قهر عيوب المنهج التجريبي بالمنهج التجريبي نفسه. غير أنه يحاول أن يقهر عيوب منهج - يستطيع المرء أن يبين أنه منهج لا شأن له البتة بالمهمة التي يجب تحقيقها في هذا المقام ، ولكن حضور الموضوعات التي هي في الواقع ، موضوعات نفسية - يتجلى بقوة تبلغ من الشدة حداً لا يمكن إلا أن تتحقق معه تحليلات للشعور، حتى ولو من حين إلى حين . علي أن هذه التحليلات وحدها إنما هي ، في العادة ، تحليلات تتسم بالسذاجة من وجهة النظر الظاهرياتيّة ، ويظهر التضاد واضحاً بينها وبين تلك الجدية المؤكدة التي بها ينشد هذا النوع من علم النفس بلوغ مرتبة الانضباط العلمي، وهو الانضباط الذي يحققه بالفعل في بعض المجالات (حين تكون أهدافه متواضعة) فهذا الانضباط يظهر حيث تكون التحديدات التجريبية متعلقة بالمظاهر المحسوسة الذاتية التي لا بد من وصفها وتمييزها بدقة ومثلما توصف المظاهر " الموضوعية" وتميز ، أي دون أي ادخال (اقحام) لتصوات أو توضيحات تنتقل إلى داخل ٣٠٤ المجالات الخاصة بالشعور . فضلاً عن أنه (أي الانضباط) يظهر حيث تتعلق التحديدات بفئات محصورة حصراً تقريباً مما هو نفسى بحق ، بقدر ما تتكشف هذه التحديدات منذ البداية الأولى على نحو كاف ، دون تحليل أعمق للشعور ، مادام المرء يمتنع عن البحث عما في هذه التحديدات من معنى نفسى بالمعنى الدقيق للكلمة .

على أن السبب في نقص كل عنصر نفسى جذري من تلك التحليلات التي تتم من حين إلى آخر ، يكمن في أن معنى العمل الواجب إنجازه هنا ومنهجه ،

وبالمثل ذلك الثراء الهائل فى اختلافات الشعور ، التى يختلط بعضها ببعض الآخر بلا تمييز عند من لم يتمرس بالمنهج - لا يظهر إلا فى علم للظاهريات خالص ومنهجي . على هذا النحو نستطيع أن نقول إن علم النفس المضبوط الحديث - الذى ينظر إلى نفسه على أنه كامل منهجيا وعلمى على نحو دقيق ، لا يُعدُّ ، لهذا السبب بعينه، علميا ، وذلك كلما أراد البحث عن معنى العنصر النفسى المتضمن فى القوانين النفسية الفيزيائية (السيكيوفيزيكية) ، أى كلما أراد الوصول إلى فهم حقيقى . كما أنه لا يتصف - من ناحية أخرى - بالعلمية فى جميع تلك الحالات التى تؤدى فيها عيوب الامتثالات غير الموضحة عن النفس إلى طرح للمشاكل غامض ، وتؤدى بالتالى إلى نتائج وهمية فحسب . إن المنهج التجريبي لا غنى عنه بوجه خاص حيثما كان المطلوب هو تثبيت ارتباطات الوقائع (مجموعات الوقائع) المشتركة بين الذوات مقدما . غير أن هذا المنهج يفترض تحليل الشعور ذاته ، وهو ما لا تقوى أية تجربة على تحقيقه .

على أن فئة قليلة من علماء النفس ، من أمثال شتومف Stumpf ولبس Lipps وآخرين من أضرابهما أدركوا هذا العيب فى علم النفس التجريبي ، واستطاعوا تقدير ذلك الدافع الذى حرك برنتانو والذى كان يمثل فاتحة عصر جديد بحق . وتمشيا منهم مع هذا الدافع - أخذوا يبذلون قصارى جهدهم لمواصلة محاولاته التى بدأها فى بحث التجارب المعيشة القصدية بحث شاملا يقوم على أساس الوصف والتحليل . وقد نظر إليهم المتعصبون للمنهج التجريبي إما على أنهم غير جديرين بالتقدير الكامل ، أو أنهم لا يقدررون - إذا كانوا يمتازون بالنشاط فى ميدان التجريب - إلا من وجهة النظر التجريبية هذه . وقد هوجموا دائما بوصفهم مدرسين . ولعل من الأمور التى سوف تثير دهشة شديدة عند أجيال المستقبل أن ينظر إلى أولى المحاولات الحديثة فى بحث

المحايت (المباطن) بحثا صار وعلى النحو الممكن الوحيد ، أى بواسطة إجراء تحليل محابث ، أو على حد تعبيرنا الآن : بواسطة تحليل ماهوى (تحليل للماهية) Wesensanalyse – ينظر إلى هذه المحاولات على أنها محاولات مدرسية، وبالتالي يمكن استبعادها وتجاهلها . إن السبب الوحيد لهذه التهمة هو أن نقطة الابتداء الطبيعية فى مثل هذه الأبحاث إنما هى التسميات Bezeichnungen العادية التى تسمى النفسى وتشير إليه . ولا يمكن دراسة هذه الظواهر التى كانت مثل هذه التسميات تتعلق بها ، فى أول الأمر ، تعلقاً مشوباً بالغموض وعلى نحو يثير الشك ، إلا بعد اعتياد معانيها . ولا جدال فى أن النزعة الأنطولوجية المدرسية تقود هى أيضا اللغة (وأنا لا أعنى بذلك أن البحث المدرسى كان كله أنطولوجيا ، غير أنها تفقد بذلك نفسها ، لأنها تنتزع من ٣٠٥ دلالات الألفاظ أحكاماً تحليلية ، معتقدة أنها قد حصلت بذلك على معرفة بالوقائع ، لكن هذا المحلل الظاهريأتى الذى لاينتزع من تصورات الألفاظ أية أحكام على الإطلاق ، بل بالأحرى ينظر بإمعان فى الظواهر التى تستثيرها الألفاظ موضوع البحث ، نافذاً بأدراكه إلى داخل الظواهر التى تكون الحدس الكامل للتصورات المنتزعة من التجربة وللتصورات الرياضية .. إلخ . هذا المحلل الظاهريأتى ، هل ينبغى ، من أجل ذلك أن يوصم هو أيضاً بأنه مدرسى ؟

من الأمور الجديرة بالتدبر أن كل ما هو نفسى بقدر ما يكون مفهوماً على ذلك النحو العينى الكامل، الذى يجب أن يكون فيه هو الموضوع الأول لعلم النفس وعلم الظاهريات على السواء ، يتخذ طابع " شعور بـ " متفاوت فى درجة تعقيده وأن لهذا " الشعور بـ " كثرة من الأشكال مثيرة للحيرة ، وأن جميع التعبيرات التى قد تعين ، فى بداية البحث ، على وضوح الفهم وموضوعية الوصف ، إنما هى تعبيرات مطاطة غامضة ، وبحيث يترتب على ذلك أن البداية الأولى لا يمكن

أن تكون ، بطبيعة الحال ، إلا كشفا لأبسط مظاهر الالتباس (الاشتراك اللفظي) Aequivokationen التى تصبح واضحة على الفور . إن الوصول إلى تثبيت دائم للغة العلمية ليفترض مقدما التحليل الكامل للظواهر ، وهو هدف لم يزل بعيد المنال ، ومادام هذا التحليل لم يتحقق ، فإن تقدم البحث – إذا ما نظر إليه من الخارج يتخذ إل حد بعيد شكل الكشف عن غوامض -Vieldeutigkeit en جديدة ، تأخذ فى التميز الآن للمرة الأولى ، وهى غوامض كامنة فى نفس التصورات التى كنا نظن أنها قد ثبتت فى الأبحاث السابقة . إن ذلك ، ولاريب ، أمر لا يمكن تجنبه ، لأنه متأصل فى طبيعة الأشياء . وإنه لعل هذا الأساس يتعين على المرء أن يحكم على عمق الفهم المتجلى فى الأسلوب الساخر الذى يستخدمه المدافعون المحترفون عن الدقة والطابع العلمى فى علم النفس عندما يتكلمون عن التحليلات " اللفظية تماما " و " النحوية تماما " و " المدرسية " .

لقد كان نداء الحرب فى عصر رد الفعل العنيف على الفلسفة المدرسية ، هو : " كفانا تحليلات فارغة للألفاظ " . علينا أن نستجوب الأشياء ذاتها ، عودا إلى التجربة Erfahrung ، إلى الحدس ، القادر وحده على إعطاء ألفاظنا المعنى والتبرير العقلى " ، حسن جدا . ولكن ، ما هى الأشياء إذن ؟ . وأى ضرب من التجربة ذلك الذى يجب علينا أن نعود إليه فى علم النفس ؟ هل الأشياء هى من قبيل تلك العبارات التى نحصل عليها من الأفراد المفحوصين ، إجابة عن أسئلتنا؟ وهل تفسير عباراتهم (أقوالهم) هى " تجربة " النفسى؟ إن القائمين بالتجارب أنفسهم يقولون إن ذلك التفسير ما هو إلا تجربة ثانوية ، أما التجربة ٣٠٦ الأولية فتكمن فى الفرد نفسه موضوع التجربة ، وتكمن ، عند علماء النفس الذين يقومون هم أنفسهم بالتجريب والتفسير – فيما لديهم من إدراكات سابقة للذات ، وهى إدراكات ليست – لأسباب قوية – باستبطانات ولا يمكن أن تكون كذلك .

والتجريبيون لا يعوزهم التفاخر بأنهم ، بوصفهم نقادا على الأصالة للاستبطان ولعلم النفس التأملى الذى يقوم كليا ، كما يقولون، على الاستبطان - قد طوروا المنهج التجريبي بحيث لا يستخدم التجربة المباشرة إلا على هيئة " تجارب عرضية ، غير متوقعة ، غير مقصود تقديمها" ^(١) وبحيث أصبح يستبعد ذلك الاستبطان السىء السمعة استبعادا تاماً . فلئن كان ذلك ينطوى ، فى اتجاه واجد معين ، على نفع لاشك فيه ، برغم المبالغات الشديدة فإنه يبدو لى، من ناحية أخرى ، أن هناك فى هذا الفرع من علم النفس غلطة أساسية لابد من تبیینها ، وأعنى بهذه الغلطة أنه يضع التحليل الذى يتحقق فى فهم تجارب الآخرين على أساس الاستشعار einführenden Verständnis ويضع بالمثل التحليل القائم على التجارب المعيشية للمرء والتي لم تلاحظ فى وقتها - أقول : يضع ذلك كله على مستوى تحليل التجربة الخاصة بالعلم الفيزيائى برغم كونها غير مباشرة ، معتقداً أنه بهذه الطريقة يكون علما تجريبيا للنفس ، بنفس المعنى - أساسا- الذى يكون به العلم الفيزيائى للطبيعة علما تجريبيا للفيزيائى . إنه يتجاهل الطابع النوعى لبعض تحليلات الشعور التى لابد أن تكون قد حدثت من قبل ، حتى يتسنى للتجارب الساذجة (سواء أكانت تقوم على الملاحظة) أم لم تكن ، وسواء أكانت تحدث فى إطار الحضور الحالى أمام الشعور أم كانت تحدث فى إطار الذكرى أو الاستشعار Einfühlung- أن تصبح تجارب بمعنى علمى .

فلنحاول الآن توضيح ذلك :

يعتقد علماء النفس أنهم يدينون بكل مآلديهم من معرفة نفسية للتجربة ، وبالتالي لتلك الذكريات الساذجة أو إلى النفاذ الاستشعارى إلى الذكريات التى

(١) قارن ، فى هذا الصدد فونت Wundt . المنطق الجزء الثانى (الطبعة الثانية) ، ص ١٧٠ .

يجب أن تصبح، بفضل الفن المنهجي للتجريب ، أسسا تقوم عليها النتائج التجريبية . ومع ذلك ، فإن وصف المعطيات التجريبية الساذجة ، والتحليل المحيث والإدراك التصوري الذي يمضى معه جنبا إلى جنب ، يتم بفضل رصيد وافر من التصورات ، قيمته العلمية حاسمة لكل تقدم منهجي لاحق . فهذه التصورات - كما يبين ذلك قليل من أعمال الفكر - تبقى ، بحسب طبيعة التساؤل والمنهج التجريبيين ، دون أن تمس في الخطوات اللاحقة من سير البحث، ويترتب على ذلك أن تدخل هي نفسها في النتائج النهائية ، وبالتالي تدخل أيضا في الأحكام التجريبية التي تدعى أنها أحكام علمية . ولا يمكن ، من جهة أخرى ، أن تكون القيمة العلمية لهذه التصورات هناك منذ البداية ، كما أنه لا يمكن أن تشتق من تجارب الفرد ، موضوع البحث ، أو من تجارب عالم النفس ٣٠٧ ذاته الذي يقوم بالبحث ، أيا ما كانت التجارب المتراكمة عند كل منهما ، فالواقع أنه لا يمكن ، منطقيا ، الحصول عليها من أية تحديدات تجريبية . وها هنا يكون موضع التحليل الظاهرياتي للماهية ، وهو التحليل الذي لا يكون تجريبيا أبدا - مهما كان وقع هذا الكلام غريباً وغير مقبول عند عالم النفس ذي النزعة الطبيعية، ولا يمكن ، بأية حال من الأحوال، أن يكون تجريبياً .

فمنذ لوك وحتى أيامنا هذه كان ثمت خلط بين اعتقادين : اعتقاد مستمد من تاريخ تطور الشعور التجريبي (ومن ثم يفترض بالفعل علم النفس افتراضا سابقا) مؤداه : أن كل تمثيل تصوري " ينبثق " من تجارب سابقة ، واعتقاد مختلف عنه تمام الاختلاف مؤداه : أن كل تصور إنما يستمد من التجربة مبرر استخدامه الممكن : أى استخدامه مثلا ، في أحكام وصفية . والآن ، فإن ذلك يعنى فى هذا المقام أنه لن يكون فى مقدورنا أن نجد مبررات لصحة التصور ، ولكونه ذا ماهية أو مفتقرا إلى الماهية ، وبالتالي لإمكان تطبيقه الصحيح على

حالة فردية معينة - أقول : لن يكون فى مقدورنا ذلك إلا إذا أخذنا فى الحسبان ماتقدمه الإدراكات الحسية أو الذكريات الفعلية . فنحن نستخدم فى الوصف ألفاظ : الإدراك الحسى ، والذكرى ، والامتثال التخليى ، والتعبير .. الخ ، وكل لفظ من هذه الالفاظ ينطوى على ثروة من العناصر المكونة الكامنة فيه ، وهى عناصر مكونة نضعها نحن فى موضوع الوصف حين " نحيط به " ، دون أن نكون قد وجدناها فيه على نحو تحليلى . فهل يكفى أن نستخدم هذه الألفاظ بالمعنى الشعبى ، أو بالمعنى الغامض أو بالمعنى العمائى المضطرب ، وهى المعانى التى اكتسبتها - لاندري كيف - فى " تاريخ " الشعور ؟ ، وحتى لو كنا نعرف كيف تم ذلك ، ففيم يمكن أن يفيدنا هذ التاريخ ، وكيف يمكنه أن يغير من حقيقة كون التصورات الغامضة إنما هى ، ببساطة ، غامضة ، وأنها بفضل هذا الطابع من الغموض الذى يخصها ليست ، ولا ريب ، علمية ؟ إننا ، مادما لا نملك تصورات أفضل منها ، ففى استطاعتنا استخدامها ، ونحن واثقون من أننا واصلون بواسطتها إلى تعبيرات غير دقيقة تفى بالأغراض العملية فى الحياة . لكن أيستطيع علم النفس الذى بدع التصورات التى تحدد موضوعاته دون تثبيت علمى ودون تطوير منهجى - أن يدعى لنفسه صفة " الانضباط " ؟ إنه بطبيعة الحال ، لا يستحق هذا الوصف أكثر مما يستحقه علم الفيزياء ، يكتفى بتصورات الحياة اليومية عن : الثقيل ، والحار ، والكتلة .. الخ . إن علم النفس الحديث لم يعد يريد أن يكون علما " للنفسى " ، بل يريد بالأحرى أن يكون علما " للظواهر النفسية " فإن كان يريد ذلك ، فعليه أن يكون قادرا على وصف هذه الظواهر وتحديد لها بدقة تصويرية . وعليه أن يحصل على التصورات الدقيقة اللازمة عن طريق العمل المنهجى . فأين يتحقق هذا العمل فى علم النفس " المضبوط " ؟ اننا نبحث عنه فى المؤلفات الضخمة التى كتبت عنه ، ولكن بلا جدوى .

إن السؤال القائل : كيف يمكن التجربة الطبيعية " المضطربة " أن تصبح تجربة علمية ، كيف يمكن المرء أن يصل إلى تحديد الأحكام التجريبية : الصحيحة موضوعيا - إنما هو السؤال الأساسى المنهجى فى كل علم تجريبى . ٣٠٨ وهو ليس بحاجة إلى أن يطرح وأن يجاب عنه تجريدا in abstracto وعلى أية حال لا يتحتم الإجابة عنه بطريقة فلسفية خالصة ، بل إن الإجابة عنه تتمثل من الناحية التاريخية فى التطبيق العملى ، أعنى : من حيث أن الرواد العباقرة للعلم التجريبى يدركون حدسيا وعينيا in concreto ، معنى المنهج الضرورى ، ويعملون بممارسة هذا المنهج بإخلاص فى مجال للتجربة سهل المنال ، على تحقيق قدر من التحديد التجريبى الصحيح موضوعيا . ومن ثم يكفلون للعلم بداية ينطلق منها . وهم لا يدينون ببواعث مسلكهم هذا إلى أى كشف أو وحى ، بل يدينون بها إلى تعمقهم فى معنى التجارب ذاتها ، وفى معنى الوجود المعطى فى هذه التجارب . ذلك أن هذا الوجود ، برغم أنه " معطى " فيها من قبل ، فإنه لا يعطى فى التجارب " الغامضة " إلا على نحو " مختلط " وعلى هذا ، ينشأ هذا السؤال الذى يفرض نفسه : كيف يكون الوجود بالفعل ، وكيف يمكن أن يحدد تحديدا صحيحا موضوعيا ، كيف؟ أعنى : عن طريق أية تجارب أفضل - وكيف تهذب هذه التجارب وتطور - ، وعن طريق أية مناهج يتحقق ذلك ؟ من المعلوم فيما يتعلق بمعرفة الطبيعة الخارجية ، أن الانتقال الحاسم من التجارب الغامضة إلى التجارب العلمية ، ومن التصورات اليومية الغامضة إلى التصورات العلمية الواضحة وضوحا كاملا - قد تحقق على يدى جاليليو . أما فيما يتعلق بمعرفة النفسى ، أو بمجال الشعور ، فلدينا ، من غير شك ، علم النفس "المضبوط" التجريبى الذى ينظر إلى نفسه على أن له كل الحق فى أن يعد نفسه المقابل الفعلى لعلم الطبيعة المضبوط " ومع ذلك فإن هذا العلم لم يزل بعد - إذا

ما نظرنا اليه من زاوية أهم الخصائص المميزة له - فى المرحلة السابقة على جاليليو ، وإن لم يكن على وعى بذلك فى أغلب الأحيان .

قد يبدو ، ولا ريب ، أمراً مثيراً للدهشة ألا يكون على وعى بذلك ، فمن المفهوم أن المعرفة الساذجة بالطبيعة لم يكن ينقصها ، فى المرحلة السابقة على العلم ، أى شئ من التجربة الطبيعية ، أى لم يكن ينقصها شئ مما لا يمكن ، فى كلية التجربة الطبيعية ذاتها ، أن يعبر عنه بواسطة تصورات للتجربة ساذجة وطبيعية. غير أن هذه المعرفة لم تكن تدرك ، فى سذاجتها ، أن للأشياء "طبيعة" ، وأن هذه الطبيعة يمكن أن تحدد عن طريق تصورات مضبوطة معينة ، بطريقة منطقية تجريبية . غير أن علم النفس بما له من معاهد وأجهزة لتحقيق الدقة ، وبما يتبعه من مناهج وضعف بعناية شديدة ، يحس ، عن حق ، أنه يتجاوز مرحلة المعرفة التجريبية الساذجة للنفس ، كما كانت تظهر فى العصور السابقة . هذا فضلاً عن أنه لم يكن يفوته أن يعيد التفكير مراراً وتكراراً ، وبعناية شديدة ، فى منهجه . فكيف أمكن ، إذن ، أن يغيب عن نظره ذلك الذى هو ، من حيث المبدأ ، أكثر الأشياء أساسية ؟ . كيف أمكن أن يخفق علم النفس فى ادراك أنه بتصوراته النفسية الخالصة التى لا يمكن على الإطلاق أن يستغنى عنها الآن ، إنما يعطى بالضرورة مضموناً لم يستمد ، ببساطة ، مما هو معطى فى التجربة ٣٠٩ بالفعل ، بل هو مضمون مطبق على هذه التجربة ؟

وكيف فاتته أنه كلما اقترب فى تناوله لمعنى النفسى ، قام بتحليلات لهذه المضمونات التصويرية Begriffsinhalte ، وتعرف على روابط ظاهرياتية صحيحة مناظر لها ، وهى تحليلات وروابط يطبقها على التجربة ، وإن كانت قبلية بالنسبة إلى التجريبية وكيف أمكن أن يفوته أن المنهج التجريبى بقدر ما يريد تحقيق معرفة نفسية فعلية ، فإنه لا يستطيع تبرير افتراضاته المسبقة ، وأن طريقته

تتميز تميزاً جذرياً من طريقة علم الفيزياء ، من حيث أن هذا الأخير يستبعد ، من حيث المبدأ ، الظاهري *das Phenomenale* ، لكى يبحث عن الطبيعة التى تقدم نفسها فيه (فى الظاهري) - بينما كان علم النفس يريد بالفعل أن يكون علماً للظواهر ذاتها ٩.

كان غياب ذلك كله عن نظر علم النفس ممكناً ومحتملاً بسبب اتخاذ وجهه نظر النزعة الطبيعية وبسبب حماسه فى محاكاة العلوم الطبيعية وفى النظر إلى الطريقة التجريبية على أنها هى المسألة الرئيسية ، فهو حين أعمل الفكر ، بجهد ، وبتعمق فى كثير من الأحيان ، فى امكانات التجارب النفسية الفيزيائية (السيكوفيزيقية) وفى اقتراح تنظيمات امبيريقية للتجارب ، وفى صنع أدق الأجهزة ، وفى اكتشاف المصادر الممكنة للوقوع فى الغلط .. الخ . قد فاتته تماماً ، مع ذلك ، أن يتابع بصورة أعمق ، ذلك السؤال : كيف ، أو عن طريق أى منهج يمكن أن تنقل تلك التصورات التى تدخل أساساً فى الأحكام النفسية من حالة الغموض إلى حال الوضوح والصحة الموضوعية . وفاته أن يدرك إلى أى حد لا يكون العنصر النفسى مجرد مظهر لطبيعة ما ، بل تكون له " ماهية " خاصة به يجب دراستها بدقة وبطريقة مطابقة (كافية) تماماً ، قبل دراسة أى عنصر نفسى فيزيائى (سيكوفيزيقى) .

لقد فاتته أن يدرك ما الذى يكمن فى " معنى " التجربة النفسية وما هى "المقتضيات " التى يتطلبها الوجود (بمعنى النفسى) من تلقاء نفسه ، من المنهج.

* * *

وهكذا فإن منشأ الخلط الذى وقع فيه علم النفس التجريبى منذ بداياته فى القرن الثامن عشر هو الصورة الخادعة لمنهج علمى - طبيعى مصبوب فى قالب

(نموذج) المنهج الفيزيائي - الكيميائي . فثمت اعتقاد أكيد مؤداه أن المنهج فى العلوم التجريبية كلها - اذا ما نظر اليها من حيث مبادئها العامة - واحد ، وهو بالتالى فى علم النفس نفس المنهج المتبع فى علم الطبيعة الفيزيائي . وإذا كانت الميتافيزيقا قد عانت ردحا من الزمان من جراء محاكاة زائفة ، سواء أكانت محاكاة لمنهج علم الهندسة أو لمنهج علم الفيزياء - فإن نفس المسلك يتكرر الآن فى علم النفس . فمن الحقائق التى لها مغزاها أن رواد علم النفس التجريبى المضبوط كانوا علماء فسيولوجيا وعلماء فيزياء . إن المنهج الحق إنما هو ذلك المنهج الذى يتبع طبيعة الأشياء التى يجب بحثها لا ذلك الذى يتبع أفكارنا المسبقة أو ادراكاتنا السابقة . فعلم الطبيعة يقوم ، بمشقة ، بابتعاث أشياء موضوعية لها خصائص موضوعية مضبوطة من حالة الذاتية الغامضة للأشياء فى مظهرها المحسوس الساذج . وهكذا يقولون لأنفسهم إنه يجب على علم النفس أن يصل بما هو غامض نفسيا فى التفسير الساذج إلى مرتبة التحديد الصحيح موضوعيا . وهذا هو ما يحققه المنهج الموضوعى . وواضح أن هذا المنهج هو نفسه المنهج التجريبى الذى دعمته فى العلم الطبيعى ، انتصارات لا حصر لها .

ومع ذلك فإن الأسئلة التى تقول : كيف تصل معطيات التجربة إلى أن تحدد موضوعيا ، وما المعنى الذى يكون للموضوعية وتحديد الموضوعية فى كل حالة ، وما هى الوظيفة التى يمكن المنهج التجريبى القيام بها فى كل حالة - كل تلك الأسئلة تتوقف على المعنى الخاص بالمعطيات ، أى على ذلك المعنى المعطى لها ، وفقا لماهيته ، من قبل الشعور التجريبى بوصفه قصدا لهذا المعنى على وجه التحديد دون سواه . واتباع نموذج العلم الطبيعى يعنى بصورة محتمة تقريبا : تشنى الشعور (أى جعل الشعور شيئا) das Bewusstsein verdinglichen

وهى عملية تقضى بنا منذ البداية إلى ضرب من الإحالة ، منه ينبثق ذلك الميل المتجدد دائما إلى وضع المشكلات وضعا يتسم بالإحالة ، ويؤدى إلى اتجاهات زائفة فى البحث . وسبيلنا الآن إلى فحص ذلك بمزيد من العناية :

إن العالم الزمانى - المكانى للأجسام هو وحده الطبيعة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة . أما كل موجود Dasein فردى آخر ، أى الموجود النفسى ، فهو طبيعة بمعنى ثان ، وهذا يؤدى إلى ظهور اختلافات جوهرية بين مناهج العلم الطبيعى ومناهج علم النفس . فمن حيث المبدأ نرى أن الموجود الجسمانى هو وحده القابل لأن يجرب ، خلال كثرة من التجارب المباشرة ، أى كثرة من الإدراكات الحسية - بوصفه فى هوية فردية مع ذاته individuell Identisches وعلى هذا ، فإن الموجود هو وحده الذى يمكن - إذا ما تصورنا الإدراكات الحسية موزعة بين "ذوات" مختلفة - أن يجرب من قبل كثرة من الذوات بوصفه ذاهوية فردية ، يمكن أن يوصف بأنه نفس الموجود على نحو مشترك بين الذوات intersubjektiv Selbiges . إن نفس الحقائق الواقعية (الأشياء ، والحوادث . الخ) تقوم أمام أعيننا جميعا ، ويمكننا جميعا تحديدها وفقا " لطبيعتها " لكن " طبيعتها " هذه تعنى : مثلها فى التجربة بمظاهر ذاتية " تتغير على أنحاء شتى " . ومع ذلك ، فأنها تقوم هناك بوصفها كيانات زمانية ذات خصائص ثابتة أو متغيرة ، وتقوم هناك مندمجة فى كلية عالم مادى واحد تربط بينها جميعا ، بمكان واحد وزمان واحد . ذلك أنها لا تكون على ماهى عليه إلا فى هذه الوحدة ، ولا تحتفظ بهويتها الفردية (أى بجوهرها) إلا فى العلاقة السببية أو الارتباط السببى مع بعضه البعض ، وهى تحتفظ بهذه الهوية بوصف هذه الأخيرة حاملة " للخصائص الواقعية " ذلك أن الخصائص الواقعية الفيزيائية (المادية) كلها هى خصائص قائمة على السببية . وكل موجود جسمانى إنما هو خاضع لقوانين (تحكم) التغييرات الممكنة . وهذه القوانين تتعلق بما هو فى هوية ، أى بالشئ ، لا فى ٣١١

ذاته ، بل فى الكل الموحد ، والفعلى ، والممكن للطبيعة الواحدة . فكل شيء مادى تكون له طبيعته (بوصفها المضمون الأساسى لما يكونه هذا الشيء الذى هو فى هوية) نظرا لكونه نقطة اتحاد سلاسل سببية داخل طبيعة كلية واحدة . والخصائص الواقعية (بمعنى الواقعية على مثال الأشياء ، أى الجسمانية) هى تعبير عن امكانيات تحول الشيء الذى يحتفظ بهويته وهى إمكانيات محددة مقدما حسب قوانين السببية . وعلى هذا ، فإن هذا الشيء لا يمكن تحديده ، من حيث ما يكونه ، إلا بالرجوع إلى هذه القوانين . على أن الحقائق الواقعية تعطى بوصفها وحدات من التجربة المباشرة ، وبوصفها وحدات من مظاهر محسوسة متعددة . إن الثوابت ، والتغيرات ، وعلاقات التغير التى يمكن ادراكها جميعا بالحس ، لترشد المعرفة فى كل مكان ، وتقوم بالنسبة إلى هذه المعرفة بدور هو أشبه شيء بوسيط " غامض " تتمثل فيه الطبيعة المضبوطة فيزيائيا الحقبة والموضوعية ، وهو وسيط يحدد الفكر (بوصفه فكرا علميا تجريبيا) من خلاله ما هو حقيقى ويكونه^(١) .

كل ذلك ليس شيئا ننسبه إلى أشياء التجربة أو إلى تجربة الأشياء بل هو بالأحرى ينتمى على نحو لا ينقسم إلى ماهيات الأشياء ، بحيث إن كل بحث حدسى متسق عن : ما هو الشيء فى الحقيقة (أعنى الشيء الذى يظهر دائما فى التجربة بوصفه شيئا ما ، وموجودا Seiende ومحددا وفى الوقت ذاته قابلا للتحديد ، والذى يظهر ، مع ذلك ، بوصفه موجودا آخر دائما كلما تغيرت مظاهر وظروفها) أقول : إن كل بحث كهذا يؤدي بالضرورة إلى روابط سببية ،

(١) لا بد ، فى هذا الصدد ، من الانتباه إلى أن هذا الوسيط الظاهرى الذى تتحرك فى داخله الملاحظة العيانية Anschauen والفكر Denken المتعلقان بعلم الطبيعة - لا يصبح عن طريق هذين الأخيرين موضوعا علميا . بل إن العلمين الجديدين : علم النفس (الذى ينتمى إليه قدر كبير من الفسيولوجيا) وعلم الظاهريات هما اللذان يهتمان بتناول هذا الموضوع .

وينتهى بتحديد خصائص موضوعية ملاحظة ، بوصفها خصائص تخضع للقانون. إذن فالعلم الطبيعي لا يصنع شيئاً سوى أن يتبع ، على نحو متسق ، المعنى الذى يزعمه الشئ ، إن صح هذا التعبير ، من حيث هو شئ يجب أن يجرب ، ويسمى هذا ، تسمية بالغة الغموض هى : " استبعاد الكيفيات الثانوية " ، " استبعاد العناصر الذاتية الخالصة من المظهر Erscheinung ، مع " الاحتفاظ بما يتبقى ، أى الاحتفاظ بالكيفيات الأولية " . والحق أن هذا لأسوأ من أن يكون مجرد تعبير غامض ، إنه نظرية رديئة متعلقة بطريقة سير جيدة .

والآن ، فلنتجه صوب عالم " النفس " ولنقتصر على تلك " الظواهر النفسية " التى ينظر إليها علم النفس الجديد على أنها هى ميدان بحثه ، أى نسقط ، ابتداءً ، من اعتبارنا تلك المشكلات التى تنتسب إلى النفس والأنا . نسأل : هل هناك فى كل إدراك حسى للنفس موضوعية متضمنة فيه تكون له بمثابة " طبيعة " بنفس المعنى الذى توجد به مثل هذه الطبيعة فى كل تجربة فيزيائية وكل إدراك حسى للشئ الواقعى ؟ سوف نرى على الفور أن العلاقات التى تقوم فى مجال ٣١٢ النفس تختلف كلية عن تلك العلاقات التى تقوم فى مجال الفيزيائى ، ذلك أن النفس ينقسم (بتعبير مجازى ، لا ميتافيزيقى) إلى موندات (ذرات روحية - أحادات) Monaden لا نوافذ لها ولا تتواصل إلا عن طريق الاستشعار Ein-fuehlung . فالوجود النفسى ، أى الوجود من حيث هو " ظاهرة " ليس ، من حيث المبدأ ، بوحدة يمكن أن تجرب فى كثرة من الإدراكات الحسية على أنها فى هوية فردية مع ذاتها ، ولا تجرب حتى فى إدراكات الذات الواحدة . بعبارة أخرى نقول : ليس ثمت تمييز فى المجال النفسى بين المظهر والوجود ، وإذا كانت الطبيعة موجودا يظهر فى المظاهر ، فإن هذه المظاهر نفسها (التى يحسبها ، عن يقين ، عالم النفس مظاهر نفسية) لاتؤلف وجودا يظهر هو نفسه

عن طريق مظاهر تقوم وراءه ، على نحو ما يتبين فى تأمل الإدراك الحسى لأى مظهر من المظاهر . واضح اذن أنه ليس ثمت إلا طبيعة واحدة فى حقيقة الأمر وهى تلك الطبيعة التى تظهر فى مظاهر الأشياء . فكل ما نطلق عليه ، بأوسع معانى علم النفس ، اسم ظاهرة نفسية هو ، إذا ما نظر إليه فى ذاته ولذاته ، ظاهرة بحق وليس طبيعة .

فأية ظاهرة اذن ليست وحدة " جوهرية " (أى ذات جوهر) substantielle einheit ذلك أنها لا تملك " خصائص فعلية " (حقيقية) ولا تعرف أجزاء فعلية ، ولا تغيرات فعلية ولا سببية : فهذه الكلمات كلها إنما تفهم هنا بالمعنى الخاص ، بالعلم الطبيعى . فلو نسبت إلى الظواهر الطبيعية ما ، وأن تبحث فى أجزائها الحقيقية المكونة لها ، وفى روابطها السببية ، لوقعت فى إحالة خالصة ، لانتقل عن تلك التى تقع فيها لو تساوت عن الخصائص السببية للأعداد وروابطها .. إلخ .

إنها الإحالة التى تنشأ عن تطبيع شيء ما ، تستبعد ماهيته الوجود من حيث هو طبيعة . فأى شيء هو ما هو ، ويبقى فى هويته إلى الأبد : ذلك أن الطبيعة خالدة . فما يملكه الشيء - أعنى الشيء الخاص بالطبيعة Naturding لا الشيء المحسوس الخاص بالحياة العملية ، أو الشيء " كما يظهر على نحو محسوس " من خصائص حقيقية أو تغيرات للخصائص ، يمكن تحديده بطريقة صحيحة موضوعيا والتحقيق منه أو تصحيحه فى تجارب متجددة دائما . أما أى شيء نفسى ، أو أية ظاهرة ، فهو يذهب ويحى ، ولا يحتفظ بوجود باق يظل فى هوية أعنى وجودا يقبل ، من حيث هو كذلك ، التحديد موضوعياً بالمعنى المعروف فى علم الطبيعة ، أى بوصفه - مثل - يقبل الانقسام موضوعياً إلى عناصر مكونة " قابلة للتحليل " بالمعنى الدقيق للكلمة .

فالتجربة لا تستطيع أن تخبرنا ما " هو " الوجود النفسى بنفس المعنى الذى يصدق على الفيزيائى ذلك لأن النفسى لا يُجرب على أنه شىء يظهر ، بل إنه "تجربة معيشة " ، وتجربة معيشة تُرى فى التأمل الانعكاسى ، فيظهر على أنه ٣١٣ نفسه ، من خلال نفسه ، فى سيلان مطلق على أنه حاضر الآن وأخذ فى التغييب بالفعل ، ويمكن إدراكه بوضوح بوصفه راجعاً القهقرى دائماً إلى " ما قد كان " وكذلك يمكن النفسى أن يكون " متذكراً " ، (أن يُستعاد) ومن ثم يمكن أن يكون مجرباً ، بطريقة معدلة بعض الشىء ، وعندما يكون الشىء " متذكراً " فهذا يعنى أنه قد كان مدركاً . ويمكن أيضاً أن يكون متذكراً " على نحو متكرر " ، فى الذكريات المتكررة التى يوحد بينها وعي يكون هو بدوره وعياً بالذكريات نفسها بوصفها متذكرة أو بوصفها لاتزال محفوظة . فى هذا المقام وفى هذا المقام وحده ، يمكن النفسى القبلى ، بقدر ما يكون هو الذى يحتفظ بهويته خلال هذه التكرارات أن يكون " مجرباً " ويتعين بوصفه موجوداً . وعلى هذا يمكننا القول بنفس القدر من الوضوح إن كل نفسى " مجرب " على هذا النحو إنما يندرج فى كلية شاملة ، فى وحدة موندية (أحادية) للشعور ، ليس لها ، فى ذاتها ، صلة على الإطلاق بالطبيعة ، وبالمكان ، وبالزمان أو بالجوهريّة (نسبة إلى الجوهر) والسببية ، بل لديها صورها الخاصة بها تماماً ، إنه سيلان من الظواهر ، غير محدود من كلا الجانبين، يتخلله خط قصدى ، خط كائنه الدليل للوحدة السارية فى الكل ، وأعنى به خط "الزمان الباطن " الذى لا بداية له أو نهاية ، زمان لا يقيسه أى مقياس للوقت .

ولو عدنا بأنظارنا إلى الورا لنتمأمل الظواهر بنظرة باطنة ، لأنقلنا من ظاهرة إلى ظاهرة (كل منها وحدة مدركة فى السيلان بل وفى فعل السيلان ذاته) ولما وصلنا أبداً إلى شىء آخر سوى الظواهر . ولا تدخل الظاهرة

المنظورة والشيء المجرب كل منهما فى علاقة بالآخر إلا حين تصل الرؤية المحايثة وتجربة الأشياء إلى مركب يجمع بينهما . فعن طريق وسيط تجربة الشيء وتلك التجربة القائمة على أسس العلاقة بين الظاهرة والشيء - أقول : عن طريق هذا الوسيط يظهر فى الوقت ذاته الاستشعار بوصفه ضرباً من الرؤية غير المباشرة للنفسى ، متميزاً فى ذاته بأنه نظرة نافذة إلى كُلِّ مونادى (أحادى) آخر .

والآن نتساءل : إلى أى حد يمكن قيام شيء من قبيل البحث العقلى أو استخدام عبارات صحيحة فى هذا المجال ؟ وإلى أى حد لاتكون هناك عبارات ممكنة سوى تلك التى قدّمناها توا على أنها أوصاف شديدة البساطة ، مفنكرة تماماً إلى الدقة (مع اغفال أبعاد بأكملها) ، لاشك أن البحث سوف يكون ذا معنى هنا إذا ما اتجه إلى معنى التجارب التى تعطى نفسها علي أنها تجارب "النفسى" وإذا قُبِلَ - بذلك - " النفسى " وحاول تحديده بالضبط ما يطالب هذا النفسى - إن صح هذا التعبير - بأن يدرك ويتحدد من حيث هو شيء منظور إليه على هذا النحو . ومن ثم حينما لايعترف المرء ، فوق هذا كله بعمليات التطبيع المحالة . إذن، فعلى المرء أن يأخذ الظواهر كما تعطى نفسها ، أي بوصفها هذه الأحوال السيالة من "امتلاك الوعى" ومن الفعل القصدى والظهور، بوصفها " امتلاك الوعى " هذا من حيث هو ظاهر أو كامن ، و " امتلاك الوعى " بوصفه حاضراً أو حاضراً حضوراً سابقاً ، بوصفه متخيلاً أو مرموزاً إليه ، أو مصوراً (محاكى) ، بوصفه مدركاً بالحس أو ممثلاً امتثالاً خالياً .. إلخ . وعلى ٣١٤ هذا ، يجب أيضاً ، أن نأخذ الظواهر وهى تتغير على هذا النحو أو ذاك ، وتتحول تبعاً لتغير الموقف أو حالة الانتباه على نحو أو آخر . كل ذلك يحمل اسم "الشعور بـ" وهو "يمتلك" " دلالة " و " يقصد " شيئاً موضوعياً " ، وهذا

الأخير، سواء أكان يوصف من هذه الزاوية أو تلك فإنه وهم أو " حقيقة فعلية " ،
يسمح بأن يوصف على أنه شيء " موضوعى علي نحو محايث " ، و " مقصود بما
هو كذلك " ، ومقصود بطريقة أو بأخرى من طرق القصد .

ومن الواضح وضوحاً مطلقاً أن المرء يستطيع هنا أن يبحث وأن يدلى
بعبارات ويفعل ذلك على أساس من البدهاة، ومتكيفا مع معنى هذا المجال من
التجربة . ومن المعترف به أن الإخلاص للمطالب المشار إليها آنفاً هو الذى
يشكل ، ولا شك ، الصعوبة التى تعترض طريقنا . فاتخاذ الأبحاث التى يجب
علينا القيام بها طابع الاتساق أو الإحالة ، يتوقف على مدى تمسكنا بالموقف
" الظاهرياتي " فى نقائه . إننا لانستطيع أن نتغلب بسهولة على تلك العادة
القطرية فى الحياة والتفكير حسب الموقف الطبيعى ، وبالتالي لا نتغلب على عادة
تزيف النفسى بتطبيعه . فضلا عن أن التغلب على هذه العادة يتوقف إلى حد
كبير على إدراك أن من الممكن فى الواقع أن يقوم بحث " محايث " خالص
للنفسى (إذا استخدمنا كلمة النفسى بأوسع معانيها ، وهو المعنى الذى يعنى
الظاهري بماهو كذلك) ، وهو نوع من الدراسة حددنا منذ قليل خصائصه
تحديداً عاماً ، ويقوم فى مقابل أى بحث نفسى فيزيائى (سيكوفيزيقي)
للظاهرى ، وهذا البحث الأخير هو نوع من البحث لم نأخذه بعد فى الاعتبار ،
ولو بطبيعة الحال ، ما يبرره أيضا .

* * *

والآن نتساءل : إذا لم يكن النفسى المحايث طبيعه فى ذاته ، بل رد الطبيعة ،
فما الذى نبحث عنه فيه على أنه " وجوده " ؟ وإذا لم يكن قابلاً للتحديد فى هوية
" موضوعية " بوصفه وحدة جوهرية من خصائص واقعية لابد من إدراكها المرة
تلو المرة ، وتحديدها وتدعيمها وفقا للعلم والتجربة ، وإذا كان لا يجب استنزاعه

من السيال الأبدى ، وإذا لم يكن فى الاستطاعة أن يصبح موضوعا لتقويم يبنى على أساس الاشتراك بين النوات - أقول : إذا لم يكن النفسى كذلك ، فماذا إذن فيه نستطيع إدراكه ، أو تحديده ، أو تثبيته بوصفه وحدة موضوعية ؟ غير أن هذا كله قد فهم على أنه يعنى أننا نظل محصورين فى المجال الظاهريأتى الخالص ونُخرج من حسابنا العلاقات القائمة مع الطبيعة ومع الجسم مجريا علي أنه شيء . وعلى هذا ، تكون الإجابة كما يأتى : إذا لم يكن للظواهر أية طبيعة فلايزال لها ماهية يمكن إدراكها بل ويمكن تحديدها تحديدا مطابقا ، فى رؤية مباشرة . وكل العبارات التى تصف الظواهر فى تصورات مباشرة إنما هى تفعل ذلك ، بقدر ما تكون صحيحة ، بواسطة تصورات للماهية ، أى بواسطة دلالات تصويرية للألفاظ عليها أن تدع نفسها تتحرر فى حدس ماهوى . Wesensschauung

ويجب أن نفهم هذا الأساس النهائى الذى يقوم عليه كل منهج نفسى فهما ٣١٥ دقيقا ، ذلك أن ما فى وجهة نظر النزعة الطبيعية من سحر ، نخضع له فى البداية ، والذى يجعلنا عاجزين عن التجرد عن الطبيعة ، ومن ثم عاجزين أيضا عن جعل النفس موضوعا لبحث حدسى يتم من وجهة النظر الخالصة بدلا من وجهة النظر النفسية الفيزيائية (السيكوفيزيكية) - قد وقف حجر عثرة فى الطريق المؤدى إلى قيام علم عظيم لا مثيل له فى خصوصية نتائجه ، علم هو من ناحية ، الشرط الأساسى لقيام علم للنفس علمى تماما ، وهو ، من ناحية أخرى ، الميدان لممارسة النقد الحق للعقل . كذلك يتمثل سحر المذهب الطبيعى الفطرى فى أنه يجعل من الأمور البالغة الصعوبة بالنسبة إلينا جميعا أن نرى " الماهيات " و " الأفكار " ، أو بالأحرى ، ندعها ، مادمنّا فى الواقع نراها ، إن صح هذا التعبير ، باستمرار - أقول : ندعها تكتسب قيمتها التى تخصها بدلا من القيام

بتطبيعها على نحو محال . فالرؤية الحدسية للماهيات لا تخفى صعوبات أو أسراراً " تصوفية" أكثر مما يخفيه الإدراك الحسى . ذلك أننا عندما نصل بـ "لون" إلى حالة من الوضوح الحدسى الكامل وإلى حالة كونه معطى لنا ، فعندئذ يكون المعطى " ماهية " ، وبالمثل عندما نصل في حدس خالص - وهو شىء من قبيل النظر الخاطف إلى إدراك حسى بعد آخر - بما هو " الإدراك الحسى " ، أى الإدراك الحسى في ذاته (هذا الطابع القائم على الهوية لأية عدد من الإدراكات الحسية الجزئية السيالة) إلى حالة كونه معطى لنا - نكون عندئذ قد أدركنا حدسيا ماهية الإدراك الحسى . وكلما اتسع الحدس ، أى امتلاك وعى حدسى ، اتسعت إمكانية القيام بعملية " إنشاء للأفكار " Ideation (كما سميتها فى " الأبحاث المنطقية ") ، أو إمكانية تحقيق رؤية (حدس) للماهية . وبمقدار ما يكون الحدس حدساً خالصاً بحيث لا يتضمن أية دلالة عابرة ملازمة له Mit-meinung تكون الماهية المرئية بالحدس ماهية محدوسة (معاينة) Erschautes على نحو مطابق ، أى ماهية معطاة بإطلاق وعلى هذا يتسع الميدان الذى يسوده الحدس الخالص حتى يشمل أيضاً كل المجال الذى يحتفظ به عالم النفس لنفسه على أنه مجال " الظواهر النفسية " على شرط أن يتناولها هى وحدها فحسب ، فى محايثه خالصة . وإنه لأمر واضح بالنسبة إلى أى إنسان لا يتقيد بالأحكام المسبقة أن تدع " الماهيات " المدركة فى حدس ماهوي نفسها تثبت ، إلى حد كبير جداً على الأقل ، فى تصورات محكمة ، فتقدم بذلك إمكانات لاستخدام عبارات محكمة، بل عبارات موضوعية بحسب طريقتها وصحيحه بإطلاق . إن الاختلافات النهائية فى اللون ، وأدق دقائقه ، قد تند عن التثبيت، لكن " اللون " متميزاً من " الصوت " يقدم اختلافاً قوياً ، ليس هناك فى العالم كله ماهو أقوى منه . ومثل هذه الماهيات القابلة للتمييز - أو الأفضل أن نقول القابلة للتثبيت -

بإطلاق ، ليست فقط تلك الماهيات التى يكون " مضمونها " محسوسا ، أو مظاهر (" تهيؤات " أو أشباح أو ما شابه ذلك) ، بل هى أيضا ماهيات كل شيء نفسى بالمعنى الكامل للكلمة ، وكل " أفعال ؛ الأنا أحوالات " الأنا " التى تناظر العناوين المعروفة مثل الإدراك الحسى أو الخيال ، أو الذكري ، أو الحكم ، أو العاطفة ، أو الإرادة - بكل مالها من أشكال خاصة لاحصر لها . هنا فى هذه العناوين والأشكال تبقى مستبعدة تلك " الدقائق " النهائية التى ترجع إلى العنصر غير القابل للتحديد فى السيال ، على الرغم من أن العلم الشارح لرموز ٣١٦ السيال والذى يمكن وصفه ، لديه " أفكاره " التى تمكن - إذا ما أدركت وثبتت حدسياً - من قيام معرفة مطلقة . فكل عنوان نفسى مثل الإدراك الحسى أو الإرادة ، إنما هو عنوان يشير إلى نطاق بالغ الاتساع من " تحليلات الشعور " ، أى إلى نطاق من الأبحاث فى الماهيات . إننا هنا بصدد ميدان يبلغ من الاتساع حداً لا يمكن معه ، من هذه الزاوية ، مقارنته إلا بعلم الطبيعة - مهما قد يبدو فى ذلك من غرابة .

والآن فإنه من الأمور ذات الدلالة الحاسمة أن نعرف أن الحدس الماهوى ليس " تجربة " على الإطلاق ، بمعنى الإدراك الحسى ، أو الذكري ، أو ما شابه ذلك من أفعال . بل إنه ، فوق هذا كله ، ليس أبداً تعميماً تجريبياً يتمثل معناه فى أن يضع على نحو وجودى الوجود الفردى للوقائع التفصيلية التجريبية . ذلك أن الحدس يدرك الماهية بوصفها وجوداً ماهوياً ، ولا يضع قط أى موجود عيى هناك . وفقاً لذلك نقول : إن معرفة الماهية ليست أبداً معرفة بأمر واقع بل إنها لاتشتمل على أدنى ظل من الإثبات يتعلق بوجود - هناك فردى (طبيعى مثلاً) . فالأساس - أو الأفضل أن نقول - إن نقطة الابتداء لحدس الماهية ، مثلاً ماهية الإدراك الحسى ، أو الذكري ، أو الحكم ، الخ ، يمكن أن تكون إدراكاً

حسياً لإدراك حسى ، أو لذكرى ، أولحكم ، الخ ، لكنها يمكن أيضاً أن تكون محض خيال فقط ، طالما أنها واضحة ، وهى ربما هى كذلك - ليست تجربة ولا تدرك أى موجود - هناك . وإدراك الماهية لايمس بذلك أبداً ، فهو من حيث هو "إدراك للماهية" ، حدس . وذلك ولا شك حدس من ضرب مختلف عن التجربة . إن الماهيات يمكن ، بطبيعة الحال ، أن تُمتثل على نحو غامض ، ولنقل إنها تمتثل فى رمز وتوضع وضعا زائفاً ، وهى عندئذ لن تكون إلا ماهيات ظنية (تخمينية) ، تشتمل على تناقضات ، كما يتبين ذلك بالنظر فيما تتضمنه من عدم اتساق . على أن الوضع الغامض الذى تقوم به يمكن أن يتبين أنه صحيح إذا ما قمنا بعودة إلى حدس الماهية فى حالة كونها معطى .

إن كل حكم يحقق ، فى تصورات محكمة وكافية الصياغة ، تجربة مطابقة لما هو متضمن فى الماهيات ، مجرباً كيف تتعلق ماهيات من جنس معين أو خصوصية معينة بماهيات أخرى ، كيف يتحد مثلاً "الحدس" و "القصد الخالى" Leere Meinung و "الخيال" و "الإدراك الحسى" ، "التصور" ، و "الحدس" كل بالآخر ، وهى "قابلة للاتحاد" بالضرورة على أساس كذا وكذا من العناصر المكونة الماهوية ، متفقاً بعضها مع البعض الآخر (فلنقل) بوصفها "قصداً" و "اتماماً" (انجازاً) Erfüllung ، أو هى على العكس غير قابلة للاتحاد وتؤسس "شعوراً بالانخداع" ، الخ - أقول : إن كل حكم من هذا القبيل إنما هو معرفة مطلقة ، صحيحة بوجه عام ، وهو ، بما هو كذلك ، ضرب من الحكم الماهوى ، بحيث تكون محاولة تبريره ، أو اثباته ، أو تفنيده بالتجربة أمراً محالاً . فالحكم يثبت "علاقة بفكرة" a relation of idea يثبت شيئاً قلبياً بالمعنى الحق ، صحيح أن هذا القبلى كان أمام عينى هيوم ، لكنه فات عن ٣١٧ إدراكه بسبب ما وقع فيه من خلط يقوم على النزعة الوضعية بين الماهية

و"الفكرة" كمقابل "للانطباع". بل إن نزعتة الشكية لم تقو مع ذلك على أن تكون متسقة في هذا المقام وأن تتحطم على صخرة معرفة من هذا القبيل - على قدر نظرتها إليها. ولو لم يكن مذهب الحسى قد أعمى بصيرته عن إدراك كل مجال القصدي، أى مجال "الشعور بـ" ولو كان قد أدرك هذا المجال فى بحث للماهية، لما أصبح ذلك الشكاك الكبير بل لما أصبح المؤسس لنظرية فى العقل "وضعية" بحق. فكل المشكلات التى كانت تحركه بحماسة بالغة فى "الرسالة" Treatise والتى كانت تدفع به من خلط إلى خلط، وهى المشكلات التى لم يستطع قط بسبب موقفه أن يصوغها صياغة مناسبة وبخاصة - كل هذه المشكلات تنتمى انتماء كلياً إلى ذلك النطاق الذى تسوده الظاهريات. كل هذه المشكلات بلا استثناء يجب أن تُحل بتتبع الارتباطات الماهوية لأشكال الشعور، وبالمثل تتبع الارتباطات الماهوية للمقاصد المتعلقة بأشكال الشعور تعلقاً متضائفاً وماهوياً (جوهرياً)، تحل فى إطار من الفهم القائم على نظرة عامة (رؤية عامة. حدس عام)، فهم لا يدع أية مشكلة ذات معنى قائمة بل جواب. على هذا النحو تحل المشكلات الكبرى عن هوية الموضوع فى مواجهة (قبالة) كثرة الانطباعات أو الإدراكات الحسية التى لدينا عنه. أما كيف تبلغ الإدراكات الحسية أو المظاهر الكثيرة تلك الدرجة التى تؤدى بموضوع واحد ونفس الموضوع إلى حالة الظهور "بحيث يمكن أن يكون هو نفس الموضوع" بالنسبة إليها هى نفسها وبالنسبة إلى شعور الوحدة أو الهوية الموحد لكثرتها - فهو سؤال لا يمكن وضعه والإجابة عنه بوضوح إلا عن طريق بحث ظاهرياتى فى الماهية (وهو سؤال كنا قد أشرنا من قبل إلى أسلوبين فى صيغته)، والرغبة فى الإجابة عن هذا السؤال على أساس العلم الطبيعى معناه إن السؤال قد أسئ فهمه، قد أسئ تفسيره على نحو يجعله سؤالاً محالاً (ممتنعاً)، فأن

يكون إدراك حسى ما ، مثل أية تجربة بوجه عام ، إدراكاً حسياً لهذا الموضوع الموجه على هذا النحو بالتحديد ، والملون على هذا النحو بالتحديد ، والمشكل على هذا النحو بالتحديد - فهي مسألة تتعلق بماهية (أى ماهية الإدراك الحسى) مهما يكن النحو الذى قد يتخذه الموضوع من جهة " الوجود " . وأن يندرج هذا الإدراك الحسى فى متصل من الإدراك الحسى " (- ولكن ليس فى متصل عشوائى -) أى فى إدراك حسى فيه "نفس الموضوع يقدم نفسه دائماً فى اتجاهات دائمة الاختلاف - هى أيضاً - مسألة تتعلق بماهيته تعلقاً خالصاً ، باختصار نقول : ها هنا تكمن الميادين الكبرى " لتحليل الشعور " - وهى الميادين التى لم تطور بعد فى المؤلفات حيث يجب توسيع الإسم : شعور (على نحو ما وسّعنا من قبل الإسم : نفسى) - سواء انطبق أم لم ينطبق - بحيث يشير إلى كل شيء محايث ، ومن ثم يشير إلى كل شيء يقصده الشعور بما هو كذلك وبكل معنى. وحين تتحرر المشكلات الباحثة فى الأصول، التى طالما أثير حولها النقاش عبر العصور - من المذهب الطبيعى الزائف الذى يسىء فهمها على نحو محال ممتنع ، فإنها لتصبح مشكلات ظاهرياًتية . فعلى هذا النحو تكون المشكلات المتعلقة بأصل " امتثال المكان ، والخاصة بامتثالات الزمان ، والشئ ، والعدد ، و " امتثالات " السبب والمسبب إلخ .. مشكلات ظاهرياًتية . وحين تصاغ هذه المشكلات الخالصة والمحددة تحديداً نهائياً وتُحل على نحو له ٣١٨ معنى حقيقى ، حينئذ فقط تكتسب المشكلات التجريبية عن بداية امتثال هذه الامتثالات بوصفها أحداثاً للشعور الإنسانى معنى يمكن ادراكه علمياً ويمكن فهمه بالنظر إلى حلها .

على أن ذلك كله يتوقف على رؤية المرء لحقيقة ، وعلى تمثله لها بحيث تصبح ملكاً له - هى : أنه بمجرد أن يستطيع المرء سماع صوت ، يستطيع أيضاً أن

يرى ماهيته ، أى الماهية : "صوت " ، أو الماهية : "مظهر الشيء " ، أو الماهية : "شيء منظور " ، أو الماهية : " امتثال على هيئة صورة " ، أو الماهية : " حكم " أو " إرادة " الخ .. ويستطيع المرء فى أثناء الرؤية أن يصنع حكماً ماهوياً ، على أن ذلك كله يتوقف ، من ناحية أخرى ، على احتراس المرء من الوقوع فى الالتباس الذى وقع فيه هيوم ، فلا يخلط بالتالى الرؤية الظاهريائية "بالاستبطان" ، و " بالتجربة الداخلية " أى باختصار ، لا يخلط الرؤية الظاهريائية بالأفعال التى بدلا من أن تضع ماهيات ، تضع تفاصيل جزئية فردية تناظرها (مناظرة للماهيات) ^(١) .

وطالما أن الظاهريات الخالصة بوصفها علماً تظل خالصة ولا تفيد من عملية وضع الطبيعة على نحو وجودى ، فإنها لا يمكن أن تكون إلا بحثاً فى الماهية ولا يمكن إطلاقاً أن تكون بحثاً فى الآنية (أى الموجود هناك) Dasein ، ويخرج من إطارها كل " استبطان " ، وكل حكم قائم على مثل هذه " التجربة " ، والجزئى فى محايثته لا يمكن أن يوضع إلا على أنه هذا ! - هذا الإدراك الحسى السىال ، هذه الذكرى الخ - وإذا لزم الأمر ، فمن الممكن إدراجه تحت تصورات ماهوية صارمة ناشئة عن تحليل ماهوى ، لأن الفرد ماهو بماهية ، هذا صحيح ، ولكن

(١) إن كتابى " الأبحاث المنطقية " الذى يقدم لأول مرة ، فى أجزائه لإقامة ظاهريات منهجية ، تحليلاً ماهوياً بالمعنى المشر إليه هنا - قد أسئ فهمه المرة تلو الأخرى على أنه محاولات تستهدف رد اعتبار منهج الاستبطان . ولا شك أن سوء الفهم هذا يرجع فى جزء منه إلى الطريقة الخادعة فى وصف المنهج التى وردت فى " المدخل " إلى البحث الأول من المجلد الثانى ، أى الإشارة إلى الظاهريات على أنها علم نفس وصفى . وقد سبق لى أن أوردت التوضيحات اللازمة فى ثالث تقرير لى أقدمه عن المؤلفات الألمانية فى المنطق فيما بين سنتى ١٨٩٥ - ١٨٩٩ :

Bericht über deutsche Schriften zur Logik in den Jahren (195 - 99 , Archiv für systematische Philosophie, ix (1903), 397 - 400 .

فى مجلة " أرشيف الفلسفة المنهجية " العدد التاسع (١٩٠٣) ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

"له" ماهية ، يمكن الكلام عنها كلاماً صحيحاً واضحاً . على أن تثبت هذه الماهية على أنها فرد واعطائها وضعاً فى "عالم" الآنية (الموجود - هناك) الفردية أمر لا يمكن أن يحققه مجرد تضمين من هذا القبيل تحت تصورات ماهوية . ذلك أن المفرد ، فى نظر الظاهريات ، هو اللامحدود (الأبيرون) أبداً . فالظاهريات لا يمكن أن تتعرف بطريقة صحيحة موضوعية إلا على الماهيات والعلاقات الماهوية ، وهى بذلك تستطيع أن تحقق وأن تحقق على نحو حاسم ونهائى ، كل ما هو ضرورى للوصول إلى فهم سليم يوضح كل معرفة تجريبية وكل معرفة على وجه العموم : توضيح "أصل" جميع المبادئ المنطقية - الصورية والمنطقية - الطبيعية ، وأية "مبادئ" معيارية (هادية) أخرى ، وتوضيح أصل جميع المشكلات المتضمنة فى تضاف " الوجود (وجود الطبيعة ، وجود القيمة .. الخ) والشعور ، وهى مشكلات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمبادئ المذكورة آنفاً^(١) . ٣١٩

ولنتقل الآن إلى الموقف النفسى الفيزيائى . فى هذا الموقف يتلقى " النفسى " بماهيته الخاصة به جميعها ، تنسيقاً مع جسم ما ومع وحدة الطبيعة الفيزيائية .

(١) إن للطريقة الحاسمة التى أعبر بها عن نفسى فى عصر ينظر إلى الظاهريات ، فى أحسن الأحوال ، على أنها اسم يطلق على مباحث متخصصة ، وعلى أعمال تفصيلية عظيمة النفع فى مجال الاستبطان ، بدلا من أن ينظر إليها على أنها علم أساس ومنهجى فى الفلسفة ، والباب المؤدى إلى ميتافيزيقا أصيلة للطبيعة والروح ، والأفكار - نقول : إن لهذه الطريقة السارية فى كل أنحاء هذه الدراسة خلفيتها فى الأبحاث المضنية التى قمت بها طوال سنين عديدة . فعلى أساس النتائج المتقدمة فى هذه الأبحاث دارت محاضراتى الفلسفية التى قمت بالقائها فى جامعة جوتنجن منذ عام ١٩٠١ . ونظرا لما بين جميع المستويات الظاهرياتية ، وبالتالى لما بين الأبحاث التى تتعلق بهذه المستويات ، من ارتباط وظيفى ، ونظرا للصعوبة البالغة التى تصاحب تطور علم المناهج الخالص ذاته ، فإبنى لم أكن أحسب أنه من المفيد نشر نتائج مفصلة لا تزال إشكالية . وأنه ليحسبنى الأمل أن أتمكن فى المستقبل القريب من أن أقدم لجمهور القراء العريض ، دراسات فى الظاهريات وفى النقد الظاهرياتى للعقل ، وهى دراسات قد حصلت ، فى غضون ذلك الوقت ، على التأييد من جميع الجهات وتحولت إلى وحدات منهجية شاملة .

فما قد أدرك فى الإدراك الحسى المحايث (الباطن) وقُسر على أنه ينتمى إلى طابعه الماهوى - يتعلق بالمدرک حسيا ، وبالتالى يتعلق بالطبيعة . وعن طريق هذا التنسيق وحده يكتسب النفسى موضوعية طبيعية غير مباشرة ، ويكتسب على نحو توسطى غير مباشر موضعا فى المكان وفى زمان الطبيعة (وهو ذلك الضرب من الزمان الذى نقيسه بالساعات) .

ويساهم " الثوقف " Abhängigkeit التجربى على الفيزيائى - إلى حد معين ، ومحدد بل مبالغة فى التزام الدقة - فى تحديد النفسى على أنه وجود فردى تحديداً يقوم على أسس الاشتراك بين الذوات ، ويساهم فى الوقت نفسه فى بحث العلاقات النفسية الفيزيائية بحثاً نافذاً يدفعها إلى مزيد من التقدم . ذلك هو نطاق " علم النفس بوصفه علماً طبيعياً " والذى هو بحسب المعنى الحرفى للكلمة ، علم نفس نفسى فيزيائى (سيكوفيزيقي) ، ومن ثم فهو ولا شك علم تجربى يقوم فى مقابل علم الظاهريات .

وليس من الأمور التى لا تثير الشكوك ، بطبيعة الحال ، النظر إلى علم النفس أى علم " النفسى " على أنه مجرد علم " للظواهر النفسية " وروابطها مع الجسم . فالواقع أن علم النفس تصاحبه أيضاً وفى كل الأحوال هذه العمليات الفطرية والمحتومة من التوضع ، عمليات متضايقاتها هى الوحدات التجريبية من الإنسان والحيوان ، ومن ناحية أخرى ، النفس ، والشخصية أو طابع الشخصية ، أى مزاجها . ومع ذلك ، فليس ضرورياً لأهدافنا أن نتبع التحليل الماهوى لبناءات الوحدة هذه ولا أن نتبع مشكلة كيف تحدد من تلقاء ذاتها مهمة علم النفس . ذلك لأنه سوف يتضح على الفور وبما فيه الكفاية أن هذه الوحدات إنما هى من ضرب يختلف من حيث المبدأ عن أشياء الطبيعة (الحقائق الواقعية للطبيعة) ، وهى تلك الأشياء التى من شأنها ، وفقاً لماهيتها ، أن تقدم نفسها عبر ٣٢٠

مظاهر منظورية abschattende Erscheinungen متعددة . أما الوحدات موضوع البحث فهي ليست كذلك البتة . فالموضوع الأساسى : " الجسم الإنسانى " هو وحده ، وليس الإنسان ذاته ، وحدة للمظهر الواقعى الشئ ، وفوق ذلك كله نقول : إن الشخصية ، والطابع الخ ليست وحدات من هذا القبيل . ولا شك أننا ومثل هذه الوحدات جميعها محالون إلى الوحدة الحيوية المحايثة " لسيال الشعور " الخاص بكل وحدة من الوحدات وإلى الخصائص المورفولوجية التى تميز بين الوحدات المحايثة (الباطنة) المتعددة التى من هذا النوع . يترتب على ذلك أن كل معرفة نفسية تجد نفسها هى أيضا وحتى من حيث تعلقها أساسا بالفرديات ، والطبائع والأمزجة الإنسانية ، وقد أحييت إلى وحدات الشعور هذه ، ومن ثم إلى دراسة الظاهرة نفسها ومتضمناتها .

ولسنا بحاجة الآن ، خاصة بعد كل التوضيحات التى سبق أن قدمناها ، إلى مزيد من التتقيحات تمكنا من أن نرى على نحو أوضح ولأعمق الأسباب ، ما عرضناه من قبل ، ألا وهو : أن كل معرفة نفسية بالمعنى المألوف إنما هى تفترض مقدما معرفة ماهوية بالنفسى بأن الأمل فى بحث ماهية الذكري ، أو الحكم ، أو الإرادة الخ ، عن طريق ألوان التجريب Experimente النفسى الفيزيائى وعن طريق الإدراكات الحسية أو التجارب Erfahrungen الداخلية الفجائية ، للحصول بذلك على التصورات المحكمة التى تستطيع وحدها أن تعطى قيمة علمية لتسميات النفسى فى العبارات النفسية الفيزيائية ولهذه العبارات نفسها - نقول : إن مثل هذا الأمل هو قمة الإحالة .

فالغلطة الأساسية فى علم النفس الحديث والتى تحول بينه وبين أن يكون علم نفسى بالمعنى الحق ، والعلمى الكامل ، هى أنه لم يتعرف على هذا المنهج الظاهرياتى ولم يطوره . فقد رضى ، بسبب الأفكار المسبقة التاريخية ،

بالامتناع عن استخدام الميول إلى هذا المنهج المتضمنة فى كل تحليل موضع للتصورات ، ويرتبط بهذا أن الغالبية العظمى من علماء النفس لم تفهم بدايات الظاهريات ، وهى البدايات التى كانت قائمة من قبل . بل إنهم فى الواقع ، كانوا ينظرون غالباً إلى البحث الموهى المنفذ من وجهة نظر حدسية على أن تجريد ميتافيزيقى على الطريقة المدرسية . غير أن ما قد أدرك من وجهة نظر حدسية لا يمكن فهمه وإثباته إلا من وجهة نظر حدسية .

واضح بعد كل التوضيحات والحجج التى قدمتها ، وسوف يكون - ولدى من الأسباب القوية ما يجعلنى أرجو ذلك - معترفاً به فى المستقبل القريب على نحو أعم : أن علما تجريبيا كافيا بحق للنفسى فى علاقاته بالطبيعة لا يمكن أن يتحقق إلا حين يبنى علم النفس على ظاهريات منهجية ، أى حين تقوم الأشكال الماهوية للشعور ومتضادياتها المحايثة التى بحثت وثبتت فى ارتباط منهجى على أساس من الحدس الخالص - تقدم المعايير لتحديد المعنى العلمى والمضمون ٣٢١ العلمى لتصورات أية ظواهر كانت ، ومن ثم للتصورات التى يعبر بها عالم النفس التجربى عن النفسى ذاته فى أحكامه النفسية الفيزيائية . ولن تستطيع مدنا بفهم " للنفسى " ، فى مجال الشعور الفردى والشعور الجماعى على السواء - إلا ظاهريات جذرية ومنهجية بحق ، تواصل سيرها لا على نحو عرضى وفى تأملات منعزلة ، بل بتفان مقصور على مشكلات الشعور البالغة التعدد والتعقد ، وتواصل سيرها بروح حرة تماماً لا تعميها أية أفكار مسبقة ناشئة عن المذهب الطبيعى . عندئذ فقط يحمل العمل التجريبي الجبار فى عصرنا ، والكثرة من الوقائع التجريبية التى جمعت من قبل القوانين البالغة الأهمية فى بعض الحالات - كل هذا يحمل ثماره الناضجة الحقة بفضل نقد تقويمى وتفسير نفسى . وعندئذ أيضا سوف يكون فى مقدرونا مرة ثانية أن نعترف - وهو ما لا يمكن أن نعترف

به على الإطلاق بخصوص علم النفس المعاصر - أقول : نعترف بأن علم النفس يتعلق بالفلسفة تعلقاً وثيقاً ، بل أوثق تعلق ممكن . عندئذ أيضاً سوف نتوقف المفارقة التي تقول بها النزعة المضادة للنزعة النفسية ، أعنى القول بأن أية نظرية للمعرفة ليست نظرية نفسية - نقول : سوف نتوقف هذه المفارقة عن أن تكون صادمة للإحساس ، على قدر ما يجب على كل نظرية حقة في المعرفة أن تتبنى بالضرورة على الظاهريات التي تكون بالتالى الأساس المشترك لكل فلسفة ولكل علم نفس . وأخيراً ، لن يكون ثمت إمكانية بعد لقيام ذلك الضرب من المؤلفات الفلسفية الوهمية Scheinliteratur الذى يزدهر بوفرة فى أيامنا هذه ، والتي يقدم لنا بادعائه الطابع العلمى الصارم للغاية ، نظرياته فى المعرفة، ونظرياته المنطقية ، ونظريته فى الأخلاق ، وفلسفات فى الطبيعة ، ونظرياته التربوية - يقدمها كلها قائمة على "أساس" علم الطبيعة ، وخاصة على أساس علم النفس التجريبي^(١) . والواقع أنه لا يسعنا ونحن نواجه بهذه المؤلفات إلا أن نندهش إزاء ذلك التدهور فى الحس بالمشكلات والصعوبات البالغة العمق والتي كرس لها أعظم مفكرى الإنسانية حياتهم . ولا بد - للأسف - أن نندهش أيضاً إزاء ذلك التدهور فى الحس بالشمول الأصيل الذى لا يزال يتطلب منا قدراً كبيراً من الاحترام داخل نطاق علم النفس التجريبي نفسه ، برغم العيوب الأساسية التى - وفقاً لتفسيرنا - تلتصق به . وإننى لمقتنع تمام الاقتناع بأن

(١) ليس بالسبب المذكور فى تقدم وازدهار هذا الضرب من المؤلفات أن يكون ذلك الرأى الذى بمقتضاه يكون علم النفس ، وعلم النفس " المضبوط " بطبيعة الحال ، هو الأساس الذى تقوم عليه الفلسفة العلمية - قد أصبح بديهية ثابتة على الأقل بين تلك المجموعات المتصلة بعلم الطبيعة داخل كليات الفلسفة . فهذه المجموعات بخضوعها لضغط علماء الطبيعة تحمس تحمسا بالغاً فى مجهوداتها لإعطاء كرسى للفلسفة بعد آخر للباحثين الذين هم فى ميادين تخصصهم قد يكونوا مبرزين ، لكن ليس لديهم تعاطف داخلى تجاه الفلسفة أكثر مما لدى - فلنقل - علماء الكيمياء أو علماء الفيزياء .

حكم التاريخ على هذه المؤلفات سوف يكون فى يوم من الأيام أشد قسوة من ذلك الحكم الذى وقع على الفلسفة الشعبية التى شجبت بعنف وقسوة فى القرن ٣٢٢ الثامن عشر^(١) .

والآن فلنترك ميدان النزاع فى المذهب الطبيعى النفسى ، ولربما يكون فى مقدورنا القول بأن النزعة النفسية التى تمضى قدما منذ أيام لوك ليست صورة مشوشة ، فيها يتعين على الاتجاه الفلسفى المشروع الوحيد أن يتقدم نحو

(١) عن طريق المصادفة وقعت بين يدي ، وأنا أكتب هذا المقال ، الدراسة القيمة التى كتبها الدكتور م . جيجر M. Geiger (من جامعة ميونخ) بعنوان : " فى ماهية الاستشعار ودلالته " Über " das Wesen und die Bedeutung der Einfühlung " وهى الدراسة المنشورة فى "تقرير عن المؤتمر الرابع لعلم النفس التجريبى فى انسبروك Innsbruck (ليپسش ١٩١١) Leipzig فال مؤلف يجاهد ، بطريقة تعليمية بالغة ، فى سبيل أن يميز المشكلات النفسية الأصلية والتى كانت فى المحاولات السابقة التى استهدفت تحقق وصف وإقامة نظرية فى الاستشعار - كانت قد أصبحت واضحة من ناحية ، ومن ناحية أخرى اختلط بعضها ببعض على نحو غامض ، ويناقش المؤلف ما قد بذل من محاولات وما قد تحقق من ناحية حلها . وكما نرى من واقع التقرير المكتوب عن سير المناقشة (ص ٦٦) ، فإن جمهور المجتمعين لم يحسن استقبال أرائه (أراء جيجر) التى كان يقولها . فوسط عاصفة من التصفيق الحاد وقفت الأنسة مارتين- مار tin لتقول " عندما جئت إلى هذا المكان توقعت أن أسمع شيئا عن التجارب (عمليات التجريب) Experimente فى ميدان الاستشعار . ولكن ، ما الذى استمعت إليه بالفعل ؟ لا شئ سوى نظريات عتيقة ، عتيقة للغاية . وما من كلمة واحدة قيلت عن التجريب والتجارب . إن هذا المؤتمر ليس جمعية فلسفية . ويبدو لى أن الألوان قد أن لمن يريد أن يقدم مثل هذه النظريات فى هذا المكان ، لى يبين إن كانت هذه النظريات قد أثبتت بالتجارب ، " ففى ميدان علم الجمال أجريت تجارب من هذا القبيل : تجارب شتراتون Stratton مثلا عن الدلالة الجمالية لحركات العينين . وهناك أيضا أبحاثى التى قمت بها عن هذه النظرية فى الإدراك الحسى الداخلى " . ويذهب ماربه Marbe إلى أبعد من ذلك " فيرى أن دلالة النظرية المتعلقة بالاستشعار تكمن فيما تقدمه من دافع يحرك الأبحاث التجريبية ، على نحو ما سارت من قبل فى هذا الميدان . فالعلاقة بين هذا المنهج الذى يستخدمه ممثلو نظرية الاستشعار وبين المنهج النفسى التجريبى هى فى جوانب كثيرة أشبه ما تكون بالعلاقة بين منهج الفلاسفة السابقين على سقراط وبين منهج علم الطبيعة الحديث " . أما أنا فليس لدى ما أضيفه إلى هذه الوقائع .

تحقيق تأسيس ظاهريتي للفلسفة . فضلا عن ذلك نقول : إن البحث الظاهرياتي على قدر ما يكون بحثا ماهويا ، وبالتالي بحثا قبليا بالمعنى الأصيل للكلمة ، فإنه يأخذ في حسبانته كل البواعث المبررة للنزعة القبلية . وعلى أية حال ، فالمرجوا أن يوضح نقدنا أن التعرف على المذهب الطبيعي على أنه فلسفة خاطئة أساسا لا يعنى بعد التخلي عن الفكرة القائلة بأقامة فلسفة علمية دقيقة ، " أى " فلسفة تقوم من أسفل " . إن الفصل النقدي بين المناهج النفسية والمناهج الظاهرياتيية يبين أن المناهج الأخيرة هي الطريق الحق المؤدى إلى اقامة نظرية علمية في العقل ، وبالمثال إلى اقامة علم نفس كاف .

ووفقا لخطتنا في هذه الدراسة ، ننتقل الآن إلى نقد المذهب التاريخي وإلى مناقشة فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " .

المذهب التاريخي وفلسفة " النظرة العامة إلى العالم "

يتخذ المذهب التاريخي مكانه في ذلك المجال من الوقائع التي تخص الحياة ٣٢٣ التجريبية للروح . وطالما أنه يضع هذه الحياة على نحو مطلق ، دون أن يقوم تماما بتطبيعها (ذلك أن المعنى الخاص للطبيعة بوجه خاص بعيد عن الفكر التاريخي وهو في كل الأحوال لا يؤثر فيه بتحديدته تحديداً عاماً) - فثمت نزعة نسبية تنشأ ، لها صلة وثيقة بالنزعة النفسية القائمة على المذهب الطبيعي ، وتتردى في صعوبات شكية مشابهة لتلك الصعوبات التي تقع فيها النزعة النفسية . ونحن لا يهمننا هنا إلا الطابع المميز لنزعة الشك التاريخي ، ونريد أن نتناول هذا الطابع - وأن نتكلم فيه - بتفصيل أكثر :

إن لكل تشكيل روحي Geistesge staltung (هذه الكلمة : تشكيل روحي منظور إليها بأوسع معانيها الممكنة ، وهو المعنى الذي يستطيع أن يحتوى على

كل ضرب من أضرب الوحدة الاجتماعية ، ويشتمل فى النهاية على وحدة الفرد ذاته ، وبالمثل على كل ضرب من أضرب التشكيل الثقافى (نقول : إن لكل تشكيل روحى بناءه الداخلى ، وعلم أنماطه Typik ، وثروته الهائلة من الصور الخارجية والداخلية التى تنمو وتتحول داخل تيار حياة الروح ذاتها ، ووفقا لنفس هذا الأسلوب من التحول تنبثق من جديد اختلافات فى البناء والنمط . وفى العالم الخارجى المرئى يقدم لنا بناء الصيرورة العضوية وعلم أنماطها – يقدمان لنا نظائر مضبوطة . وفى ذلك العالم لا يوجد أى نوع ثابت ولا يوجد أى تركيب من نفس هذا النوع مكون من عناصر عضوية ثابتة . ذلك أن كل ما يبدو لنا أنه ثابت هو تيار من التطور يمضى قدما . وإذا نحن نفذنا بالحدس الداخلى ، نفاذا فيه معيشة ، إلى داخل وحدة حياة الروح لاستطعنا أن نشعر بما يقوم فى داخلها من عوامل الدفع (دافعيات) Motivationen ، وأن " نفهم " بالتالى ماهية البناء الروحى الذى نحن بصدد الكلام عنه وتطوره ، فى توقفه على وحدة وتطور مدفوعين بطريقة روحية . على هذا النحو نستطيع أن نقول إن كل شئ تاريخى يصبح بالنسبة إلينا " مفهوما " ، و " قابلا للتوضيح " ، فى " الوجود " الخاص به ، الذى هو " وجود روحى " تماما ، يصبح وحدة من لحظات متقدمة داخليا لمعنى من المعانى ، وبالتالى وحدة مايتشكل ويتطور على نحو معقول ، ووفقا لدافعية داخلية . إذن ، على هذا النحو أيضا يمكن بحث مواضيع الفن ، والدين ، والأخلاق الخ بطريقة حدسية ، ويمكن بنفس الطريقة بحث " النظرة العامة إلى العالم " التى تتعلق بهذه المواضيع تعلقا وثيقا ، وفى الوقت ذاته تعبر فيها عن نفسها . إنها تلك " النظرة العامة إلى العالم " التى تسمى عادة حين تتخذ صورة العلم وتطالب مثله بتحقيق صحة موضوعية ، - تسمى باسم : ميتافيزيقا ، أو حتى باسم : فلسفة . وعلى هذا ، ففىما يتعلق بمثل هذه

الفلسفات، تنشأ المهمة الكبرى في بحث بنائها المورفولوجي وعلم أنماطها بحثاً شاملاً، فضلاً عن بحث ارتباطاتها التطورية وجمل عوامل الدفع (الدافعيات) الروحية التي تحدد ماهيتها، مفهومة تاريخياً بانبعائها من الداخل، وإن كانت هناك أشياء هامة ورائعة في الواقع يجب أن تتحقق من وجهة النظر هذه، فإن أعمال فلهلم دلتاي لتبينها، خاصة تلك الدارسة المنشورة حديثاً عن أنماط " ٣٢٤ النظرية العامة إلى العالم" (١).

واضح أن كلامنا حتى الآن لم يكن منصبا على المذهب التاريخي، بل على علم التاريخ. وسوف ندرك بسهولة باللغة تلك الدوافع التي أدت إلى ظهور هذا المذهب إذا ما تتبعنا من خلال بعض القضايا والعبارات، ذلك العرض الذي قدمه دلتاي. فنحن نقرأ له العبارة التالية: "إن فوضى الأنساق الفلسفية هي من بين جميع الأسباب التي تغذي دائما وعلى نحو متجدد نزعة الشك - أشدها تأثيراً" (ص٣). "وعلى أن هناك أمرا أشد عمقا من تلك النتائج الشكية التي تنشأ عن التناقض في آراء البشر، ألا وهو انتشار الشكوك الناشئة عن التطور المتقدم للوعي التاريخي" (ص٤). "فنظرية التطور (مثلها كمثال نظرية التطور القائمة على العلوم الطبيعية)، وهي تلك النظرية التي تقترن بمعرفة للتشكلات الثقافية تتجلى من خلال تاريخ التطور (ترتبط ارتباطا ضروريا بمعرفة لما في الصورة التاريخية للحياة من طابع نسبي. ذلك أنه أمام تلك النظرية التي تضم الأرض والأحداث الماضية كلها - نقول: أمام هذه النظرية تختفى الصحة المطلقة لأية صورة خاصة عن تفسير الحياة أو الدين، أو الفلسفة. وعلى هذا فإن تكوين وعي تاريخي من شأنه أن يحطم على نحو أكثر شمولاً وحسماً مما يفعله ذلك

(1) vgl. den Sammelband weltanschauung, Philosophie und Religion in Darstellungen von w. Dilthey usw, Berlin Reichel & Co., 1911.

العرض السريع للخلاف القائم بين الأنساق الفلسفية - يحطم الاعتقاد فى الصحة العامة الكلية die Allgemeingültigkeit لأية فلسفة من تلك الفلسفات التى أخذت على عاتقها مهمة التعبير ، بطريقة تعسفية ، عما فى العالم من اتساق عن طريق سلسلة من التصورات " (ص ٦) .

إن الحقيقة المستمدة من واقع أقوال دلتاى هذه انما هى حقيقة لا يتطرق إليها الشك أبدا . غير أن المسألة التى تهمنا هى أن نعرف إن كانت أقواله - اذا ما أخذت من حيث كلية المبدأ - يمكن تبريرها . ذلك أن " النظرة العامة إلى العالم " وفلسفة " النظرة العامة إلى العالم " هما ولا شك تشكيلان ثقافيان يظهران ويختفيان فى تيار التطور الإنسانى ، ومن ثم فإن مضمونهما الروحى إنما هو مدفوع على وجه التحديد فى إطار العلاقات التاريخية المعطاة . غير أن هذا الكلام يصدق على العلوم الدقيقة . فهل تفتقر لهذا السبب إلى الصحة الموضوعية ؟ عن هذا السؤال قد يجيب بالإيجاب معتنق متطرف غاية التطرف للمذهب التاريخى ، وهو فى إجابته هذه سوف يشير إلى التحول فى الآراء العلمية : كيف أن ما يقبل اليوم على أنه نظرية مثبتة سوف ينظر إليه غدا على أنه لا قيمة له . وكيف يتكلم فريق عن قوانين يقينية ، يقول عنها فريق آخر إنها مجرد فروض ، وفريق ثالث يقول إنها ظنون غامضة ، وهكذا دواليك . فهل معنى ذلك إذن أننا لا نملك بالفعل إزاء هذا التحول الدائم فى الآراء العلمية ، أى حق فى الكلام عن العلوم ، لا بوصفها تشكيلات ثقافية فحسب بل بوصفها وحدات صحيحة موضوعيا ؟ من اليسير على المرء أن يدرك أن المذهب التاريخى ، إذا ما تحقق على نحو متسق ، يؤدى إلى نزعة ذاتية شكية متطرفة . عندئذ تفقد أفكار : الحقيقة ، والنظرية ، والعلم - تفقد مثل سائر الأفكار ، مالها من صحة مطلقة . والقول بأن لفكرة ما صحة معناه أنها تكوين وقائعى للروح faktisches Geis- ٣٢٥

tesgebilde ينظر إليه على أنه صحيح ويحدد الفكر عن طريق هذا الطابع الوقائعي للصحة . فليست هناك صحة بسيطة محددة أو " فى ذاتها " ، أى صحة تكون هى ماهى ، حتى لو لم يحققها أحد ، وحتى بالرغم من أن الانسانية التاريخية لن تحققها أبدا . وعلى هذا أيضا ، فلن تكون هناك إذن صحة بالنسبة إلى مبدأ التناقض ، وبالنسبة إلى المنطق كله ، الذى لا يزال حتى فى عصرنا الحاضر يتمتع بنفوذ قوى . وقد تكون النتيجة أن تتحول المبادئ المنطقية فى عدم التناقض إلى أضدادها . بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول إن جميع القضايا التى ذكرناها توا ، وحتى تلك الإمكانيات التى كنا قد أخذناها فى الحسبان وتناولناها على أنها صحيحة دائما ليس لها فى ذاتها أية صحة . وهكذا دواليك . غير أنه ليس من الضروري أن نستطرد هنا وأن نكرر المناقشات التى سبق لنا أن قدمناها فى موضع آخر^(١) . فلقد تحدثنا بما فيه الكفاية لكى نعترف بمدى ضخامة الصعوبات التى تكمن فى العلاقة القائمة بين قيمة سيالة fließenden Gelten (رواغة) معينة وصحة موضوعية ، بين العلم بوصفه مظهرا ثقافيا والعلم بوصفه نسقا لنظرية صحيحة ، وهى العلاقة التى قد تواجه ذهنا Verständnis يُعنى بتوضيحها ، ولا بد من التعرف على ما بينهما من اختلاف وتقابل . لكننا لو سلمنا بالعلم على أنه فكرة صحيحة ، فأى سبب لا يزال لدينا يجعلنا لا نأخذ بعين الاعتبار اختلافات مماثلة تقوم بين ماله قيمة تاريخية معينة وما هو صحيح بحق ، على الأقل كإمكانية قائمة - وإن كنا نستطيع أن نفهم هذه الفكرة على ضوء من " نقد العقل " أو لا نستطيع ؟ . إن علم التاريخ ، أو ببساطة إن العلم التجريبي للإنسان بوجه عام لا يستطيع بوسائله الخاصة أن يقرر شيئا ، سواء بمعنى ايجابى أو بمعنى سلبى ، عما إذا كان من المحتم إقامة التمييز بين الدين بوصفه تشكيلا ثقافيا والدين بوصفه فكرة ، أى بوصفه

(١) فى المجلد الأول من كتابى : " الأبحاث المنطقية " .

دينا صحيحا ، بين الفن بوصفه تشكيلا (شكلا) ثقافيا والفن الصحيح ، بين القانون التاريخي والقانون الصحيح ، وأخيرا ، بين الفلسفة التاريخية والفلسفة الصحيحة . ولا يستطيع أن يقرر إن كانت توجد أولا توجد بين الواحد منها والآخر - تلك العلاقة التي تقوم بين الفكرة - بالمعنى الأفلاطوني - والصورة المعتمدة لمظهرها . وحتى إذا كان من الممكن ، فى الحقيقة ، النظر إلى التشكيلات الروحية والحكم عليها من زاوية أمثال هذه الاضداد للصحة ، فعندئذ لن يكون القرار العلمى الذى يتخذ بشأن الصحة نفسها وبشأن مبادئها المعيارية المثالية - لن يكون أبدا من اختصاص العلم التجريبي . ولا شك أن عالم الرياضة لن يتجه هو أيضا نحو علم التاريخ كما يتلقى منه الإرشادات والتعليمات عن حقيقة النظريات الرياضية ، فلن يخطر بباله أن يقيم علاقة تربط التطور التاريخي للامتناعات والأحكام الرياضية بمسألة الحقيقة ، (أى حقيقتها) . وعلى هذا ، ٣٢٦ فكيف يتعين على المؤرخ أن يتخذ قرارا بشأن حقيقة الأنساق الفلسفية المعطاة ، وخاصة بشأن إمكان قيام علم فلسفى صحيح فى ذاته ؟ وما الذى يجب عليه أن يضيفه من أقوال يمكن أن تزعم من إيمان الفيلسوف بفكرته ، أى فكرة : قيام فلسفة حقة ؟ إن من ينكر نسقا محددا ، بل أكثر من ذلك نقول : إن من ينكر الإمكانية المثالية لقيام نسق فلسفى بما هو كذلك ، لابد أن يقدم الأسباب . فالوقائع التاريخية للتطور ، وحتى أعم الحقائق عن أسلوب تطور الأنساق بما هى كذلك ، قد تكون أسبابا ، وأسبابا قوية . على أن الأسباب التاريخية لا يمكن أن تقدم وتثمر إلا نتائج تاريخية . فالرغبة سواء فى إثبات الأفكار أو فى تنفيذها على أساس الوقائع انما هى ضرب من الاحالة ^(١) .

(١) يرفض دلتاي هو أيضا (أنظر المصدر السالف ذكره) نزعة الشك التاريخية غير أنني لا أفهم كيف يعتقد أنه قد حصل من تحليله التعليمى للغاية لبناء " الانتظار العامة إلى العالم " وعلم أنماطه - على حجج حاسمة ضد نزعة الشك . لأن علم الإنسان الذى هو فى الوقت نفسه =

وعلى هذا ، فكما أن علم التاريخ لا يستطيع أن يقدم شيئا صالحا ضد إمكان قيام ضروب من الصحة المطلقة بوجه عام ، فإنه لا يستطيع كذلك أن يقدم شيئا ، بوجه خاص ضد إمكان قيام ميتافيزيقا مطلقة ، أى ميتافيزيقا علمية ، أو ضد أية فلسفة أخرى . إنه لا يستطيع على الإطلاق بوصفه علما تاريخيا أن يثبت حتى تلك القضية التى تقول بأنه لم تكن هناك ، حتى الآن ، فلسفة علمية ، ولا يستطيع أن يثبت هذه القضية إلا عن طريق مصادر أخرى للمعرفة ، هى ولا شك مصادر فلسفية . ذلك أن من الواضح أن النقد الفلسفى هو أيضا - على قدر ما يتعين عليه بالفعل طلب الصحة - فلسفة ، وأن معناه يتضمن الإمكانية المثالية لقيام فلسفة منهجية بوصفها علما دقيقا . والقول غير المشروط بأن أية فلسفة علمية إنما هى أضغاث أحلام ، وهو القول الذى يقوم على حجة مؤداها أن المحاولات المزعومة والتى بذلت طوال آلاف السنين الماضية - من شأنها أن ترجح الاستحالة الداخلية لقيام فلسفة من هذا القبيل - نقول : إن هذا القول خاطئ ، لا مجرد أن الاستقراء لا يكون سليما إذا كنا نستخلص من بضعة آلاف من السنين من الثقافة الرفيعة نتيجة تتعلق بمستقبل غير محدود ، بل هو خاطئ بوصفه إحالة مطلقة ، مثل قولنا بأن $2 \times 2 = 5$ وذلك للسبب المبين : إن كان هناك شئ يمكن النقد الفلسفى أن يفند صحته الموضوعية ، فعندئذ يكون هناك أيضا مجال يمكن أن يتأسس بداخله شئ على أنه صحيح موضوعى .

فإذا كانت المشكلات قد وضعت بطريقة معوجة ، فيجب أن يكون فى الإمكان ٣٢٧ تصحيح ذلك ووضع مشكلات قوية . وإذا كان النقد يبين أن الفلسفة فى نموها

= علم تجرى ، لا يستطيع كما بينت فى هذا النص ، أن يجادل لا من أجل ولا ضد أى شئ يطلب صحة موضوعية . ذلك أن المسألة تتغير وتختلف - ويبدو أن ذلك هو الحركة الداخلية فى فكره - إذ تحل محل وجهة النظر التجريبية الموجهة نحو فهم تجرى ، وجهة النظر الظاهريائية الموجهة نحو الماهية .

التاريخى تسير خلال تصورات غامضة وأنها قد قدمت تصورات يمكن تحديدها ، وتوضيحها ، وتمييزها على نحو حاسم ، بحيث يمكن ، فى المجالات المعينة ، استخلاص النتائج السليمة الخ . إن كل نقد حقيقى ونافذ إلى الأعماق إنما يقدم هو بنفسه الوسائل التى تعين على التقدم ويشير على نحو مثالى إلى الطريق المؤدى إلى بلوغ الغايات الحققة ، وبالتالي إلى تحقيق علم صحيح موضوعى . ولا بد بطبيعة الحال أن نضيف إلى ذلك كله قولنا بأن الاستحالة التاريخية فى الدفاع عن تشكيل روحى بوصفه أمرا واقعا لا شأن لها باستحالة الدفاع عنه من زاوية الصحة . وقولنا هذا يلقي ، مثله كمثل كل ما سبق أن ناقشناه حتى الآن ، تطبيقه فى أى مجال يدعى الصحة .

إن ما قد يؤدى - حتى الآن بالمعتنق للمذهب التاريخى إلى الوقوع فى الزلل هو أننا بنفادنا المعيشى فى داخل تشكيل روحى أعيد بناؤه تاريخيا ، داخل فعل القصد أو فعل الدلالة الذى يغلب عليه ، وبالمثل داخل مجموعات الدافعيات Mo-tivationen المنتمية إليه - لا نستطيع أن نفهم معناه الداخلى فحسب ، بل نستطيع كذلك أن نحكم على قيمته النسبية . فإذا أفدنا عن طريق ضرب من الانتحال ، من المقدمات التى كان يضعها فيلسوف من فلاسفة الماضى تحت تصرفه ، فعندئذ نستطيع فى آخر الأمر أن نتعرف على " الاتساق " النسبى فى فلسفته ، بل ونعجب بهذا الاتساق . ونستطيع ، من زاوية أخرى ، أن نغفر له تلك الألوان من عدم الاتساق ، بما فى ذلك نقل المشكلات وتغييرها - وهى أمور لم يكن تجنبها ممكنا فى هذه المرحلة من مراحل الإشكال وتحليل الدلالة . وفى استطاعتنا أن نقرر الحل الموفق لمشكلة علمية على أنه انجاز عظيم ، وهى المشكلة التى تنتهى إلى فئة من المشكلات يفهما فهما كاملا وبسهولة أى طالب من طلاب المدارس الثانوية ونفس الملاحظة تصدق على جميع الميادين . ومع ذلك

فنحن نصر لاسباب واضحة وقوية على أنه حتى المبادئ التى تقوم عليها أمثال هذه التقويمات إنما هى تكمن فى المجال المثالى ، وهى تلك المبادئ التى لا يستطيع المؤرخ الذى يضع أحكام قيمة والذى لا يريد أن يفهم التطورات المحضة فحسب إلا أن يفترضها مقدما ولا يستطيع - بوصفه مؤرخا - تبريرها وتأسيسها . إن معيار ما هو رياضى يكمن فى علم الرياضة ، ومعيار ما هو منطقى يكمن فى علم المنطق ، ومعيار ما هو " اخلاقى يمكن فى علم الأخلاق الخ. فإذا كان المؤرخ يريد هو أيضا أن يكون علميا بالفعل فى تقويمه ، فعليه أن يتلمس أسباب التأسيس ومناهجه فى هذه المباحث . وإذا لم تكن هناك من هذه الزاوية ، علوم متطورة على نحو دقيق ، فليمارس عندئذ التقويم على مسؤوليته هو الخاصة - لنقل : بوصفه رجلا ذا نزعة أخلاقية ، أو رجلا ذا إيمان دينى ، ولكن ليس بوصفه مؤرخا علميا على الإطلاق .

وإذا كنت ، بناء على ذلك ، أنظر إلى المذهب التاريخى على أنه غلطة معرفية (ابستمولوجية) يجب ، بسبب نتائجها المحالة أن يرفض بنفس الطريقة العنيفة التى رفض بها المذهب الطبيعى من قبل - فإننى لازلت أود أن أؤكد بشكل ٣٢٨ صريح أننى معترف تماما بالقيمة الهائلة للتاريخ بأوسع معانى الكلمة - بالنسبة إلى الفيلسوف . فاكتشاف الروح العامة له عنده من الدلالة ما لاكتشاف الطبيعة تماما . فالواقع أن الإدراك النافذ فى الحياة الكلية للروح ، يقدم للفيلسوف مادة للبحث أكثر أصالة وبالتالي أكثر أساسية من تلك التى يقدمها له ذلك الإدراك النافذ فى الطبيعة . لأن مجال الظاهريات ، بوصفها نظرية فى الماهية ، يمتد على الفور من الروح الفردية حتى يشمل ميدان الروح الكلية بأسره ، وإذا كان دلتاى قد أثبت بطريقة بالغة التأثير ، أن علم النفس الفيزيائى (السيكوفيزيقي) ليس هو ذلك العلم الذى يمكن استخدامه أساسا تقوم عليه

العلوم الانسانية ، فإننى أقول فى هذه الحالة إن النظرية الظاهريائية فى الماهية هى وحدها القادرة على أن تقدم أساسا تقوم عليه فلسفة فى الروح .

* * *

لننتقل الآن إلى النظر فى معنى فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " ومقتضياتها ، كيف نقارن بعد ذلك بينها وبين الفلسفة بوصفها علما دقيقا . إن فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " فى العصر الحديث هى - كما سبق أن أشرنا - وليد نزعة الشك التاريخية . ومن الطبيعى أن يقف هذا الوليد عاجزا أمام العلوم الوضعية التى ينسب إليها برغم ما يميز كل ضرب من ضروب نزعة الشك من عدم اتساق - ينسب إليها صحة واقعية . بناء على ذلك تفترض فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " مقدما كل العلوم الجزئية بوصفها كنوزا وثرورات من الحقيقة الموضوعية ، وهى بقدر ما تسهتد الفناء على قدر الإمكان بمطلوبنا فى الوصول إلى معرفة كاملة وموحدة شاملة كل شئ ومدركة لكل شئ - تنظر إلى العلوم الجزئية كلها على أنها أساسها الذى تقوم عليه . وهى بسبب ذلك تسمى نفسها أحيانا فلسفة علمية ، لأنها تنبنى على علوم متينة وصلبة . ومع ذلك ، فطالما أن الطابع العلمى لمبحث من المباحث ، إذا ما فهمنا ذلك فهما جيدا ، لا يتضمن الطابع العلمى لأسسه فحسب ، بل يتضمن أيضا الطابع العلمى لمشكلاته التى تصنع الأهداف ولما هجه ، كما يتضمن كذلك نوعا من التألف المنطقى بين المشكلات الموجهة من ناحية ، ومثل هذه الأسس والمناهج على وجه التحديد من ناحية أخرى - فعندئذ لا تزال التسمية : " فلسفة علمية " تسمية قاصرة لا تعنى إلا القليل . والواقع أن هذه التسمية لا تستخدم بوجه عام على أنها تسمية كاملة الإحكام . ذلك أن الغالبية العظمى من الفلاسفة القائلين " بالنظرة العامة إلى العالم " يحسون تماما أن فلسفتهم بمطلبها فى الدقة العلمية ليست فى وضع طيب تماما ، وقلة منهم فقط هى التى تعترف بصراحة وأمانة ،

بما لنتائج هذه الفلسفة من مرتبة علمية دنيا . ومع ذلك نراهم يقدرّون تقديرًا عاليًا للغاية هذا الضرب من الفلسفة الذى يرغب على التحقيق فى أن يكون "نظرة عامة إلى العالم " أكثر من أن يكون " علما للعالم ". وكلما قدرّوه تقديرًا ٣٢٩ أعلى ، تحت تأثير المذهب التاريخى ولا ريب - نظروا بعين الشك إلى المشروع الذى يستهدف إقامة علم فلسفى دقيق للعالم . ودوافعهم التى أدت بهم إلى قول ذلك والتى حددت فى الوقت نفسه وبطريقة أدق معنى فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " هى على وجه التقريب الدوافع التالية :

إن كل فلسفة عظيمة ليست مجرد واقعة تاريخية فحسب ، بل لها أيضا فى تطور الحياة الروحية للإنسانية وظيفة عظيمة ، بل وظيفة غائبة وحيوية ، أعنى أن تسمو بالتجربة الحية Lebenserfahrung ، وبالتكوين الثقافى ، وبالحكمة فى عصرها إلى أقصى درجة ممكنة . فلنتوقف هنا قليلا كيما نوضح هذه التصورات :

فالتجربة من حيث هى ملكة Habitus شخصية إنما هى ذلك المتبقى من أفعال موقف تجربى طبيعى فى تيار الحياة . وهذه الملكة مشروطة فى جوهرها بالأسلوب الذى بمقتضاه تدع الشخصية ، أى الشخصية من حيث هى هذه الفردية الخاصة - تدع نفسها تتأثر بأفعال تجربتها هى الخاصة ، ومشروطة على نحو لا يقل عن ذلك بالأسلوب الذى بمقتضاه تدع الشخصية تجارب الآخرين تؤثر فيها بحسب موقفها الخاص منها : قبولاً أو رفضاً . أما فيما يتعلق بأفعال المعرفة المندرجة تحت إسم : التجربة ، فيمكن أن تكون ألوانا من المعرفة للموجود الطبيعى ، سواء أكانت ادراكات حسية بسيطة ، أو أفعالا أخرى من المعرفة الحدسية المباشرة ، أو ما يقوم عليها من أفعال الفكر فى مختلف مراحل التناول والإثبات المنطقى . على أن ذلك لا يفى بمقصودنا . ذلك

أننا نمتلك أيضا تجارب بالأعمال الفنية ، وبقيم جمالية أخرى ، كما أننا نمتلك تجارب بالقيم الأخلاقية ، سواء أكانت تقوم على أساس سلوكنا الأخلاقي الخاص بنا ، أو على أساس نظرتنا النافذة في سلوك الآخرين ، وبالمثل نمتلك تجارب بوجه الخير ، وألوان المنفعة العملية ، وأضرب التطبيق التكنيكي . باختصار نقول : ليست لدينا تجارب نظرية فحسب ، بل لدينا أيضا تجارب حية في التقويم والإرادة بوصفها أساسا حدسيا تقوم عليه . وعلى مثل هذه التجارب تتبنى أيضا معارف تجريبية ذات رتبة منطقية أعلى . تبعا لذلك نقول : إن الانسان صاحب التجربة المتعددة الأبعاد ، أو كما نقول أيضا : " الإنسان المثقف " ليست لديه تجربة بالعالم فحسب ، بل لديه أيضا تجربة أو " ثقافة " Bildung ، دينية ، وجمالية ، وأخلاقية ، وسياسية ، وعملية ، وتكنيكية ، الخ . ومع ذلك ، فإننا لا نستخدم هذا اللفظ (الاكليشييه) المطروق بكثرة : لفظ " ثقافة " طالما أن لدينا اللفظ المقابل له ، وهو : جهالة " Unbildung – إلا على تلك الصورة ذات القيمة الرفيعة نسبيا من الملكة التي وصفناها . أما فيما يتعلق بالمستويات الرفيعة على التخصيص للقيمة ، فهناك اللفظ العتيق ، لفظ : " حكمة (حكمة الدنيا ، أو حكمة العالم والحياة) يطلق عليها ، وهناك أيضا في أغلب الأحوال ذلك التعبير الأثير للغاية في أيامنا هذه : تعبير " النظرة العامة إلى العالم والحياة " أو ببساطة تعبير : النظرة العامة إلى العالم " .

فعلينا أن ننظر في تلك الحكمة أو النظرية العامة إلى العالم " بهذا المعنى ٣٣٠ بوصفها عنصرا جوهريا يدخل في تكوين تلك الملكة الانسانية التي لا تزال ذات قيمة كبيرة والتي تحضر أمامنا في فكرة الفضيلة الكاملة ، والتي تعين الاستعداد الدائم لكل الاتجاهات الممكنة في المواقف الانسانية – أي الاستعداد للمعرفة ، والتقويم ، والإرادة . لأن هذا الاستعداد يلزم . ولا شك ، القدرة على

إطلاق حكم عقلى على ألوان الموضوعية الخاصة بأمثال هذه المواقف ، وعلم العالم المحيط بنا ، وعلى القيم ، وألوان الخير ، والأفعال الخ - أو يلزم القدرة على تبرير مواقف المرء تبريرا صريحا واضحا . غير أن ذلك يفترض الحكمة افتراضا سابقا وينتمى إلى صوره الرفيعة .

إن الحكمة ، أو " النظرة العامة إلى العالم " ، بهذا المعنى المحدد ، الذى يشتمل على صنوف متعددة من أنماط القيمة ودرجتها ، ليست - وهذا أمر لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح - مجرد انجاز تحققه الشخصية المنعزلة (انجاز هو - فضلا عن ذلك - عبارة عن تجريد) - بل هى بالأحرى تنتمى إلى المجتمع الثقافى وإلى العصر ، وفيما يتعلق بأبرز صورها فثمت معنى سليم ، به لا نستطيع أن نتكلم عن ثقافة فرد معين ونظرته العامة إلى العالم فحسب ، بل نستطيع أن نتكلم أيضا عن ثقافة عصر " ونظرته العامة إلى العالم " . وهذا يصدق بوجه خاص على الصور التى نحن مقدمون على تناولها الآن :

إن ادراكنا السريع بالفكر للحكمة التى هى - فى شخصية من الشخصيات فلسفة عظيمة - حكمة حية ، وبالغة الثراء داخليا ، وإن كانت عند هذه الشخصية ذاتها لا تزال غامضة وتفتقر إلى الصياغة على هيئة تصورات - يكشف عن إمكانات لتحقيق إعداد منطقى من شأنه أن يسمح فى مستويات ثقافية أعلى بتطبيق المنهج المتطور فى مجالات العلوم الدقيقة . فمن الواضح أن المضمون العام لهذه العلوم الذى يواجه فى الواقع الفرد من حيث هى مقتضيات صحيحة للروح العامة - ينتمى عند هذا المستوى إلى البناء الأدنى لثقافة أو " نظرة عامة إلى العالم " ذات قيمة كبيرة . وعلى هذا ، فبقدر ما تأخذ الدوافع الثقافية الحية ، وبالتالي البالغة الإقناع ، للعصر ، صياغة تصويرية فحسب ، بل تأخذ أيضا تطويرا منطقيًا وإعدادا آخر فى الفكر ، وبقدر ما تصل النتائج

المكتسبة على هذا النحو المذكور بالتعاقب مع حدوس واستبصارات اضافية ، إلى مرتبة التوحيد العلمى والكمال المتسق - ينشأ توسيع وترقية بالغبى للحكمة التى لم تُصغ فى الأصل على هيئة تصورات . تنشأ وتقوم هناك فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " ، وهى تلك الفلسفة التى تقدم ، فى الانساق أوالمذاهب الكبرى، الإجابة الأكمل نسبيا ، عن أُلغاز الحياة والعالم أى تلك التى تؤدى إلى الوصول إلى حل وإلى توضيح واف وكاف لألوان عدم الاتساق النظرية ، والقيمية، والعملية فى الحياة ، وهى تلك الألوان من عدم الاتساق التى لا تستطيع التجربة، أو الحكمة ، أو مجرد النظرة إلى العالم والحياة أن تتغلب عليها إلا على نحو قاصر ناقص . لكن الحياة الروحية للإنسانية بكثرة بناءاتها وصراعاتها وتجاربها الجديدة دائما ، وباكتشاف القيم والأهداف الجديدة ، إنما تتقدم دائما ٢٣١ إلى الأمام . ومع اتساع أفق الحياة وهو الأفق الذى تدخل فيه سائر الأشكال الروحية ، تتغير الثقافة والحكمة "والنظرة العامة إلى العالم " ، وتتغير الفلسفة ، مرتفعة إلى قمم أعلى ، أعلى دائما .

وعلى قدر ماتكون قيمة فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " (وبالتالي أيضا قيمة الميل (التطلع) Streben أو السعى إلى مثل هذه الفلسفة) مشروطة أولا بقيمة الحكمة والميل إلى الحكمة ، يكون من غير الضرورى النظر على التخصيص إلى الهدف الذى تضعه هذه الفلسفة ذاتها . وإذا ما جعل المرء تصور الحكمة واسعا مثم فعلنا ، فعندئذ تعبر الحكمة عن عنصر أساسى يدخل فى تكوين المثل الأعلى لتلك القدرة الكاملة التى يمكن بلوغها للجانب الخاص من حياة الإنسانية . بعبارة أخرى نقول : إن الحكمة إنما هى تصميم عبنى كامل نسبيا لفكرة " الإنسانية " . واضح إذن كيف ينبغى على كل امرئ أن يسعى إلى أن يكون شخصية قادرة على قدر الإمكان وعلى كل نحو ، قادرة فى جميع الاتجاهات الأساسية فى الحياة ، وهى الاتجاهات التى تتطابق ، من جانبها ،

مع الأنماط الأساسية للمواقف الممكنة . وواضح أيضا كيف ينبغي على كل إمرئ أن يسعى إلى أن يكون فى كل اتجاه " مجرباً " ، و " حكيماً " ، ومن ثم أيضا " محيا للحكمة " على قدر الإمكان . وفقا لهذه الفكرة نقول : إن كل إنسان يسعى ويميل ويتطلع ، إنما هو بالضرورة " فيلسوف " بأشد معانى هذه الكلمة أصالة .

فمن التأملات الطبيعية فى أفضل الطرق لبلوغ هدف الانسانية النبيل ، وبالتالى بلوغ الهدف النبيل للحكمة الكاملة – نشأ ، كما هو معروف فن ، هو فن الإنسان الفاضل أو الإنسان القادر . وإذا ماحددنا – كما جرت العادة – ذلك الفن على أنه فن السلوك القويم ، فمن الواضح أنه يؤدي إلى نفس المعنى . لأن السلوك القادر وهو السلوك الذى نقصده ، يرجع إلى الطابع العملى القادر ، وهذا الأخير يفترض مقدما الكمال المعتاد ، من جهة النظر العقلية والقيمية . ومرة ثانية نقول إن السعى الواعى نحو الكمال إنما يفترض مقدما السعى إلى الحكمة الكلية . أما فيما يتعلق بالمضمون فإن هذا المبحث يوجه الإنسان الذى يسعى ، نقول : يوجهه إلى مجموعات مختلفة ومتعددة من القيم ، وهى تلك التى توجد فى العلوم ، والفنون ، والدين ، الخ بحيث ينبغي على كل فرد فى سلوكه أن يتعرف عليها بوصفها ألوانا من الصحة موحدة وتقوم على أساس من الذاتية المشتركة . وفكرة هذه الحكمة والقدرة الكاملة ذاتها من أسمى هذه القيم . إن هذه النظرية فى السلوك الأخلاقى سواء أكننا ننظر إليه على أنه شعبى أكثر أو على أنه علمى أكثر – تدخل ، بطبيعة الحال ، فى إطار فلسفة " للنظرة العامة إلى العالم " فلسفة لا بد من جانبيها وجميع مجالاتها وعلى النحو الذى نشأت معه فى الوعى الجمعى لعصرها ووفقا للطريقة التى تواجه بها الفرد بوصفها حقيقة موضوعية – نقول : لا بد أن تصبح هذه الفلسفة قوة ثقافية بالغة الأهمية ، ونقطة إشعاع للشخصيات الهامة فى العصر .

والآن ، بعد أن قمنا بتبرير كامل للقيمة العالية لفلسفة النظرة العامة إلى ٣٣٢ العالم ، يبدو أنه ما من شئ يستطيع أن يحول بيننا وبين أن نزكى على نحو مطلق غير مشروط ذلك السعى نحو فلسفة من هذا القبيل .

ومع ذلك ، فقد يكون فى مقدورنا أن نبين أنه فيما يتعلق بفكرة الفلسفة ، فإن قيما أخرى - القيم العليا منها ، حسب وجهات نظر معينة - لابد أن تتحقق ، أعنى ، تلك القيم الخاصة بعلم فلسفى . ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا ما يلى : إن تفكيرنا لينطلق ابتداء من قمة ثقافة علمية عليا لعصرنا ، الذى هو عصر لقوى جبارة عاتية للعلوم المضبوطة الموضوعية . ولقد انفصلت بالنسبة إلى الوعى الحديث أفكار الثقافة ، أو النظرة العامة إلى العالم ، والعلم - منظورا إليها على أنها أفكار عملية - انفصالا حاداً ، وسوف تظل من الآن فصاعدا منفصلة إلى الأبد . صحيح أننا قد نأسف لذلك ، ولكن لا محيص لنا عن قبوله كحقيقة واقعة يجب أن تحدد بطريقة مناظرة موقفنا العملى . لقد كانت فلسفات الماضى بالتاكيد فلسفات تقوم على النظرة العامة إلى العالم ، على قدر ما كان الدافع إلى الحكمة يسيطر على أصحابها الذين أنشأوها ، لكنها كانت فلسفة علمية بقدر ما كان هدف الفلسفة العلمية حياً فيها . فالغايتمان لم تكونا متميزتين . ذلك أنهما يسيران معا فى السعى العملى ويتداخلان ... إن هذا الموقف قد طرأ عليه التغير الجذرى منذ أن تكونت تلك الكلية التى تتجاوز الزمان للعلوم المضبوطة المحكمة . فالأجيال وراء الأجيال تعمل بحماسة متزايدة على البناء الجبار للعلم وتضيف إليه ما لديها من لبنات البناء المتواضعة ، وهى على وعى دائم بأن البناء لا نهاية له ، وأنه لن ينتهي أبدا . وصحيح أن النظرة العامة إلى العالم هى أيضا " فكرة " ، لكنها فكرة هدف يقوم فى النهائى ، يجب أن يتحقق من حيث المبدأ فى حياة فردية جزئية عن طريق اقترب مستمر ، مثل الأخلاق على وجه

التحديد، ويفقد بالتأكيد معناه إن كان فكرة أبدى يتجاوز من حيث المبدأ النهائى. إذن ، " ففكرة " النظرة العامة إلى العالم تختلف من عصر إلى عصر ، تلك حقيقة يمكن إدراكها بغير صعوبة من التحليل السالف لتصورها . أما " فكرة " العلم فهى - على العكس من ذلك ، فكرة تتجاوز الزمان وهذا يعنى هنا أنها لا ترتبط ولا تتحدد بأية علاقة بروح عصر من العصور . وعلى هذا ، تنضاف إلى هذه الفروق والاختلافات فروق واختلافات ماهوية فى الاتجاهات العملية . ٣٣٣ ونستطيع أن نقول بوجه عام إن أهدافنا فى الحياة هى من ضربين : فبعضهما زمانى ، وبعضها الآخر أبدى ، بعضها يخدم كمالنا الخاص وكمال معاصرنا وبعضها الآخر يخدم كمال الأجيال القادمة ، بل الأجيال البعيدة جدا . فالعلم هو اسم يطلق على القيم المطلقة ، اللزمانية . وكل قيمة من أمثال هذه القيم تنتمى عندما تكتشف إلى ثروة القيم للإنسانية المقبلة جمعاء وتحدد بوضوح وفى نفس الوقت المضمون المادى لفكرة الثقافة والحكمة ، " والنظرة العامة إلى العالم " ، وتحدد بالمثل مضمون فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " .

وعلى هذا ، تتميز تمييزا حادا حاسما فلسفة النظرة العامة إلى العالم ، والفلسفة العلمية بوصفهما فكرتين ، تتعلق كل منهما بالآخرى على نحو معين ، ولكن لا يجب الخلط بينهما . وهنا يجب أيضا أن نلاحظ أن الفلسفة الأولى (أى فلسفة النظرة العامة إلى العالم) ليست - إن جاز هذا التعبير - تحقيقا زمانيا ناقصا للفلسفة الأخرى الثانية . ذلك لأنه إذا كان تفسيرنا صحيحا فليس ثمت حتى الآن تحقيق على الإطلاق لتلك الفكرة ، أعنى أنه ليست هناك فلسفة قائمة بالفعل بوصفها علما دقيقا فليس هناك " نسق من المذاهب " حتى ولو كان نسقا ناقصا ، يقوم موضوعيا فى الروح الموحدة لمجموع الباحثين فى عصرنا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد كانت هناك منذ آلاف السنين فلسفات

"النظرة العامة إلى العالم " . ومع ذلك ، فمن الممكن أن يقال إن تحقيق هاتين الفكرتين لابد أن يقرب كل منهما إلى الأخرى في اللانهاى وأن يتطابقا ، بحيث نمثل لأنفسنا لامتناهى العلم على نحو مجازى بأنه " نقطة بعيدة على نحو لامتناه " . وعلى هذا ، لابد أن نأخذ تصور الفلسفة بمعنى واسع بطريقة مناظرة ، واسع إلى الحد الذى يشمل جميع العلوم الجزئية ، بعد أن تكون قد تحولت إلى فلسفات بواسطة تفسير وتقويم نقديين عقليين .

إننا إذا أخذنا الفكرتين المتميزتين على أنهما مضمونان من مضامين أهداف الحياة ، فعندئذ يمكن اتفاقا مع ذلك قيام موقف للبحث يقابل ويعارض تماما السعى (الميل) الخاص " بالنظرة العامة إلى العالم " ، وهو موقف رغم وعيه الكامل بأن العلم لا يمكن بحال أن يكون كله من خلق الفرد ، فإنه مع ذلك يركز جهوده كلها فى العمل على دفع التقدم التدريجى لفلسفة علمية . ولعل المشكلة الكبرى التى تمثل أمامنا الآن هى أن نقوم ، بصرف النظر عن تمييزهما تميزا واضحا ، بتقويم نسبى لهذه الأهداف وبالتالي لقابلية اتحادهما العلمى .

ولنسلم منذ البداية أنه على أساس الأفراد الذين يتفلسفون لا يوجد قرار حاسم بالنسبة إلى هذا الضرب من التفلسف أو ذاك يمكن أن يعطى ويقدم . فهؤلاء الذين تغلب عليهم النزعة النظرية مبالون بطبيعتهم إلى التماس رسالتهم ٣٣٤ فى البحث العلمى الدقيق ، على شريطة أن يكون المجال الذى يجذب اهتمامهم يقدم لهم آمالا وأفاقا لمثل هذا البحث . هنا من الممكن تماما أن يكون الاهتمام بهذا المجال حتى ذلك الاهتمام العاطفى الجارف ، ناشئا عن حاجات مزاجية أو عاطفية ، عن حاجة مثلاً " لنظرة عامة إلى العالم " . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن الموقف يختلف بالنسبة إلى ذوى الطابع الجمالية والعملية (بالنسبة إلى الفنانين أو اللاهوتيين أو المشرعين ، الخ) . فهم يرون أن رسالتهم إنما هى

فى تحقيق المثل العليا الجمالية أو العملية ، وبالتالى تحقيق المثل العليا المتعلقة بمجال غير نظرى . فى هذه الفئة نحن نضع بالمثل اللاهوتيين ، والمشرعين ، ونضع - بالمعنى الأوسع - الباحثين والكتاب الفنيين ، بقدر ما لا يستهدفون بكتاباتهم إنشاء نظرية خالصة ، بل يستهدفون فى المقام الأول التأثير العملى . ولا شك أنه فى مسار الحياة المعاصرة لا مجال لا انفصال خالص أو حاد ، خاصة فى عصر للدوافع العملية فيه مثل هذا التأثير القوى ، بل إن طبيعة نظرية يمكن أن تستسلم بدرجة كبيرة للغاية لقوة أمثال هذه الدوافع بحيث لا تسمح لها طبيعتها بذلك . لكن ، هنا يكمن خطر كبير يتهدد فلسفة عصرنا الحاضر .

على أن المسألة لا يجب أن تطرح من وجهة نظر الفرد فقط ، بل أيضا من وجهة نظر الإنسانية والتاريخ ، أعنى بقدر ما نضع التاريخ فى اعتبارنا ، فما الذى يعنيه بالنسبة إلى تطور الثقافة ، وإلى إمكان قيام تحقيق متقدم دائما للإنسانية بوصفها فكرة أبدية - لا للإنسان المفرد - أن يتحتم حسم المسألة بالمعنى الأول أو بالمعنى الآخر . بعبارة أخرى ، ما إذا كان الاتجاه نحو ضرب واحد من الفلسفة يسود سيادة تامة العصر ويؤدى إلى موات الاتجاه المقابل ، أى الاتجاه نحو فلسفة علمية وذلك أيضا يمثل مسألة عملية . لأن المؤثرات التاريخية ومعها مسئولياتنا الأخلاقية تمتد إلى أقصى درجات المثل الأعلى الأخلاقى الذى تقتضيه فكرة التطور الإنسانى .

إننا لنتبين بوضوح كيف يقدم القرار الحاسم الموضوع موضع التساؤل والبحث نفسه لطبيعة نظرية ، إن كانت قد وجدت من قبل بدايات غير مشكوك فيها لمذهب فلسفى . والآن ، فلنلق نظرة سريعة على العلوم الأخرى : إن كل "حكمة" أو كل نظرية فى الحكمة أصلها رياضى أو فى مجال العلوم الطبيعية قد فقدت حقوقها بقدر ما يتأسس المذهب النظرى المناظر بطريقة صحيحة

موضوعية . لقد قال العلم : من الآن فصاعدا يجب التعلم من الحكمة . والسعى أو التطلع إلى الحكمة Weisheitsstreben فى مجال العلم الطبيعى لم يكن - إن صح هذا التعبير - غير مبرر قبل وجود العلم المضبوط ، فهو لم يستبعد بالنسبة إلى عصره الخاص . فتحت إلحاح الحياة ، وتحت ضغط الضرورة العملية ، لا يستطيع الإنسان أن ينتظر حتى - ولنقل ، بعد آلاف السنين - يوجد العلم ٣٣٥ ويقوم ، حتى ولو افترضنا أنه كان على علم سابق بفكرة العلم المضبوط الدقيق .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن كل علم الآن ، مهما يكن مضبوطا ، لا يقدم إلا نسقا من النظرية متطورا على نحو جزئى يحيط به أفق لا محدود مما لم يصبح بعد علما . إذن ، فما الذى يجب أن نعهده بمثابة الهدف الصحيح لهذا الأفق ؟ هل هذا الهدف هو زيادة تطوير المذهب المضبوط ، أو النظرة العامة إلى العالم ، أى الحكمة " ؟ إن الإنسان النظرى ، أى الباحث فى الطبيعة ، لن يتردد فى الإجابة . فسوف يرفض باحتقار "النظرات العامة إلى العالم " الغامضة . وسوف يعدّ أى تركيز لمشاريع عن الطبيعة ، أى " نظرات عامة إلى العالم " خطيئة ترتكب فى حق العلم . ولا شك أنه فى ذلك إنما يدافع عن حق من حقوق الإنسانية المقبلة . والحق أن العلوم المضبوطة تدين بما لها من عظمة وتدين باستمرار تطورها المتقدم وقوته الكاملة ، للموقف الجذرى الذى تتخذه أمثال هذه العقلية . إن كل باحث دقيق ينشئ لنفسه بطبيعة الحال " نظرات عامة إلى العالم " ، فعن طريق آرائه ، وشكوكه ، وتخميناته ، يتجاوز بنظره ما قد تحقق وتأسس على نحو ثابت ومتين ، وإن كان ذلك من أجل غايات منهجية فقط ، ومن أجل أن يخطط لشذرات جديدة لمذهب محكم . وهذا الموقف لا يستبعد ، كما يعرف ذلك جيدا باحث الطبيعة نفسه ، أن التجربة بالمعنى السابق على العلم - وإن كانت ترتبط بالاستبصارات أو النظرات العلمية - لا تقوم بدور هام داخل التكنيك الخاص بالعلم الطبيعى . فالمهام التكنيكية تريد أن تتحقق وتنجز ، فالمنزل ،

والالة لابد من بنائهما ، ولا مجال هناك للانتظار حتى يمكن للعلم الطبيعى أن يقدم المعلومات عن كل ما يتعلق بها . وعلى هذا ، فإن الانسان التكنيكي (الحرفى) بوصفه إنسانا عمليا ، يقرر ويحسم بطريقة تختلف عن طريقة الإنسان المنظر لعلم الطبيعة . فمن النظرية يستمد مذهبه ، ومن الحياة يستمد "تجربته " .

إن الموقف ليس هو نفس الموقف بالضبط فيما يتعلق بالفلسفة العلمية ، لأننا لم نقم بعد الأسس التى يقوم عليها مذهب علمى دقيق ، والفلسفة التى وصلت إليها عبر التاريخ ، والفلسفة التى تصاغ فى التطور الحى على السواء ، ليست إلا بناءات علمية ناقصة Halbfabrikat ، أو خليطا غير متميز من النظرات العامة إلى العالم والمعرفة النظرية . ومن ناحية أخرى ، فإننا هنا أيضا لا نستطيع لسوء الحظ أن ننتظر . فالمقتضى الفلسفى من حيث هو حاجة تتطلب نظرة عامة إلى العالم يدفعنا . وتصبح هذه الحاجة أعظم باستمرار كلما اتسعت وامتدت دائرة العلوم الوضعية . فالكثرة للهائلة من الوقائع " المفسرة " علميا التى تقدمها لنا هذه العلوم ، لا تستطيع أن تساعدنا ، لأنها من حيث المبدأ تنتمى مع جميع العلوم إلى بعد من الإلغاز ، يصبح حله بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت Eine Lebensfrage (أى مسألة حيوية) . ذلك أن علوم الطبيعة لم تفك ٣٣٦ فى حالة واحدة شفرة الواقع : الذى فيه نعيش ، ونتحرك ، ونوجد . والاعتقاد العام أن مهمتها هى أن تحقق هذا ، وأنها لم تتقدم حتى الآن بما فيه الكفاية ، والرأى القائل بأنها تستطيع تحقيق ذلك - من حيث المبدأ - قد تجلى لذوى النظرة الثاقبة على أنه خرافة . فالانفصال الضرورى بين العلم الطبيعى والفلسفة - من حيث أن هذه هى أساسا علم ذو اتجاه آخر وإن كانت تتعلق تعلقا ماهويا بعلم الطبيعة فى أكثر من ميدان - انفصال فى طريقة إلى التحقق

والتوضيح . وكما يقول لوتزه Lotze " إن حساب مسار العالم لا يعنى فهمه " .
غير أننا فى هذا الاتجاه لم نتقدم بالعلوم الإنسانية ، فليس هناك شك فى أن
" فهم " حياة - الروح للإنسان شئ عظيم ورائع . لكن حتى هذا الفهم لم يستطع
أن يساعدنا ، ويجب ألا نضطرب بالفهم الفلسفى الذى ينبغى أن يكشف لنا
ألغاز العالم والحياة .

والواقع أن اليأس الروحى geistige Not فى عصرنا قد صار أمرا لا يمكن
احتماله . إن الأمر لا يقتصر فقط على النقصان النظرى فى الوضوح بالنسبة
إلى معنى " الواقع " أو الحقيقة الواقعية التى تبحثها العلوم الطبيعية والعلوم
الإنسانية ، وهو النقصان الذى يثير الاضطراب فيما ننعم به من سلام وسكينة
- مثلا ، إلى أى حد يمكن معرفة الوجود بالمعنى النهائى للكلمة فى الواقع ، وما
الذى يمكن النظر إليه ، من حيث هو كذلك ، على أنه وجود " مطلق " وهل يمكن
أن يوجد فى الواقع شئ شبيه بذلك يمكن ، معرفته على الإطلاق . إن الأمر أكثر
من ذلك إنه اليأس الحى الجذرى للغاية الذى يصيبنا ، يؤس لم يترك جانبا من
حياتنا إلا ومسه وأصابه . إن كل حياة إنما هى اتخاذ وضع ، وكل اتخاذ لوضع
يخضع لإلزام ، أى يخضع لاقتضاء يتعلق بالصحة أو اللامعة ، وفقا للمعايير
المزعومة للقيمة المطلقة وطالما أن هذه المعايير لم تكن تهاجمها أو تهددها ، أو
تسخر منها أية نزعة شكية فلم يكن إلا سؤال واحد حيوى : كيف يتسنى لنا
عمليا أن نفى بطريقة أفضل بهذه المعايير . ولكن ، كيف يكون الحال الآن ،
عندما يوضع أى معيار كان موضع الجدل أو عندما يتبين زيفه تجريبيا ويحرم
من قيمته المثالية ؟ . إن الفلاسفة القائلين بالمذهب الطبيعى والفلاسفة القائلين
بالمذهب التاريخى يدافعون عن النظرة العامة إلى العالم ، والفريقان يعملان -
فى جبهات مختلفة ، على إساءة تفسير الأفكار على أنها وقائع ، وعلى تحويل

الواقع كله ، والحياة كلها إلى خليط من " الوقائع " غير مفهوم ولا شك له .
فخرافة الواقعة إنما هي أمر مشترك بينهم جميعا .

إننا لا نستطيع ولا شك أن ننتظر . فلا بد لنا من اتخاذ موقف ، وعلينا أن
نأخذ على عاتقنا مهمة أن نقلل من أوجه التنافر وانعدام الانسجام في موقفنا
تجاه الواقع - إزاء واقع الحياة الذى يحمل بالنسبة لنا دلالة - وأن نحوله إلى
"نظرة إلى العالم والحياة " عقلية ، حتى وإن كانت غير علمية . وإذا قدم لنا
فيلسوف " النظرة العامة إلى العالم " يد المساعدة في ذلك بدرجة كبيرة ، أفلا ٣٣٧
يحق لنا أن نقدم له الشكر على ذلك ؟.

ومهما يكن من أمر ما قد نفيده من الأقوال التى ذكرناها توا ، فلا بد مع ذلك
أن نؤكد هذه الحقيقة : يجب أن نكون على وعى بسمئوليتنا إزاء الانسانية . فلا
يجب أن نضحى بالأبدية من أجل الزمن الذى نعيش فيه ، ولا ينبغي - من أجل
أن نقلل من بؤسنا ، أن نورث ذريتنا مشكلاتنا المتزايدة التى أصبحت فى
النهاية شرا يصعب بل يستحيل انتزاعه . إن البؤس هنا ينشأ من العلم . لكن
العلم هو وحده القادر على قهر - قهرا نهائيا - البؤس الذى ينشأ من العلم ،
وإذا كان النقد القائم عن نزعة الشك الذى يمارسه المعتنقون للمذهب الطبيعى
والمعتنقون للمذهب التاريخى ، يحيل الصحة الموضوعية الحق فى جميع مجالات
الإلزام إلى إحالة وامتناع لغو فارغ ، وإذا كانت تصورات التأمل ، غير الواضحة
والمتناهية المتعارضة وإن كانت تنشأ من الطبيعة ، تحول دون فهم الواقع وإمكان
قيام موقف عقلى إزاءه ، وإذا كانت ، بالتالى ، المشكلات المشتركة المعنى أو
المحالة تحول دون قيام الفهم الواحد ، وإذا كانت ألوان الإحالة التى تثير اليأس
فى تفسير العالم مرتبطة بأمثال هذه الأفكار المسبقة ، فعندئذ ليس ثمت إلا علاج
واحد لهذه الشرور وأمثالها : نقد علمى وبالإضافة إليه علم جذرى ، ينشأ من

أسفل ، ويقوم على أسس متينة ، ويتقدم وفقا لأدق المناهج - وهو العلم الفلسفى الذى من أجله نتكلم هنا . إن النظرات العامة إلى العالم قد تدخل فى خلاف وجدال ، أما العلم فهو وحده الذى يستطيع أن يقرر ويحسم ، وقراره الحاسم يحمل خاتم الأبدية .

* * *

وعلى هذا ، فمهما يكن الاتجاه الذى يمكن أن يتخذه التحول الجديد فى الفلسفة ، فلا جدال فى أنه لا ينبغى أن يتخلى عن رغبته فى أن يكون علما دقيقا . بل بالأحرى يجب أن يقوم فى مقابل التطلع (السعى) العلى نحو "النظرة العامة إلى العالم " ، ويجب أن ينفصل بوعى تام عن هذا التطلع . لأنه لا بد هاهنا من رفض كل محاولة للتوفيق . ولربما يقول المدافعون عن "النظرة العامة إلى العالم " الجديدة إن اتباع هذه الفلسفة لا يعنى بالضرورة التخلي عن فكرة العلم الدقيق . فالفيلسوف الحق الذى يقول " بالنظرة العامة إلى العالم " لن يكون - فيما يقولون - علميا فقط فى وضع أسسه ، أى فى استخدام جميع معطيات العلوم الخاصة الدقيقة بوصفها لبنات بناء متينة ، بل سوف يقوم بتطبيق المنهج العلمى وسوف يفيد من كل إمكانية للتناول العلمى الدقيق للمشكلات الفلسفية . لكنه فى مقابل الحيرة الميتافيزيقية ونزعة الشك التى سادت فى العصر الماضى ، سوف يتبع بشجاعة نادرة أسمى وأدق المشكلات الميتافيزيقية كيما يحقق هدف " النظرة العامة إلى العالم " التى تقى - حسب موقف العصر - بمطالب العقل والعاطفة معا وعلى نحو متناغم .

وبقدر مايكون هذا مقصودا على أنه توفيق قُدر له أن يحو خط التفرقة بين فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " والفلسفة العلمية ، فلا محيص لنا عن

الاحتجاج ، ذلك أنه لا يؤدي إلا إلى تلطيف الحافز العلمى وإضعافه ، وإلى الإغلاء من شأن مؤلفات علمية زائفة تفتقر إلى الأمانة الفكرية . لا مجال هنا لأوجه الاتفاق والتوفيق ، هنا بالذات أكثر مما فى أى علم آخر . فلن يعد فى استطاعتنا أن نأمل فى الوصول إلى نتائج نظرية إذا كان الحافز إلى النظرة العامة إلى العالم غالبا ، ويخدع بصورته العلمية حتى نوى الطبائع النظرية . فعندما كانت العقول العلمية الجبارة تغلب عليها بحماسة إرادة العلم ، فلم تحقق فقط جزاء واحدا من المذهب الخالص فى الفلسفة وحققت كل الأشياء العظيمة التى حققتها بالفعل نتيجة لإرادة العلم هذه فقط . عندما فعلت هذه العقول ذلك عندئذ لم يقدر فلاسفة النظرة العامة إلى العالم أن يعتقدوا أن فى استطاعتهم تأسيس علم فلسفى على نحو نهائى محدد . فهؤلاء الرجال الذين يضعون الهدف أو الغاية فى النهائى والذين يريدون امتلاك نسقهم . كيما يستطيعون الحياة وفقا له - ليسوا بحال مؤهلين للقيام بهذه المهمة . وليس هناك سوى حل واحد هو : أن تتخلى فلسفة " النظرة العامة إلى العالم " هى نفسها ويحسن نية كامل عن مطلب أن تكون علما ، وأن تتوقف بالتالى وفى الوقت نفسه عن إرباك العقول وعن الوقوف حجر عثرة فى سبيل تقدم الفلسفة العلمية - وهو ما يتعارض بالتأكيد مع مقصدها الخالص . .

فليبق هدفها المثالى إذن هو " النظرة العامة إلى العالم " التى ليست ، من حيث ماهيتها ، يعلم . إنما لا ينبغى أن تدع نفسها تنساق إلى الوقوع فى الخطأ عن طريق التعصب العلمى الذى ينتشر فقط فى عصرنا إلى الحد الذى يستبعد معه كل ما لا يمكن البرهنة عليه عن طريق " الانضباط " العلمى على أنه " غير علمى " فالعلم ليس إلا قيمة واحدة بين قيم أخرى متساوية من حيث التبرير . أما أن تقف بثبات قيمة " النظرة العامة إلى العالم " على وجه الخصوص - تقف

وتقوم على أساسها الخاص ، فهذا ما لابد من الحكم عليه على أنه ملكة الشخصية الفردية وإنجازها ، أما العلم فلا بد أن يحكم عليه بوصفه الإنجاز الجماعى لأجيال الباحثين ، وهو ما سبق أن أوضحناه توضيحا كاملا . وكما أن للموقفين مصادرهما المتميزة فى القيمة ، فكذاك أيضا لهما وظائفهما المتميزة ، وأساليبهما المتميزة فى العمل والتعليم . وعلى هذا ، فإن فلسفة النظرة العامة إلى العالم تعلم وفقاً لطريق الحكمة ، أى أن يخاطب شخص شخصا . يترتب ٣٣٩ على ذلك أن من يعلم وفقاً لأسلوب فلسفة من هذا القبيل هو وحده الذى يمكن أن يخاطب جهورا عريضا مصطفى بالتالى بفضل طابع دال خاص وحكمة مميزة - أو قد يسمى خادما للاهتمامات العملية السامية ، الدينية ، والأخلاقية ، والقانونية الخ . أما العلم فهو لا شخصى . فالذين يشتركون فيه ليسوا بحاجة إلى الحكمة بل هم بحاجة إلى الموهبة النظرية وإن ما يسهم به العالم فى مجاله إنما يزيد من ثروة ألوان الصحة الأبدية التى لابد وأنه تساهم فى إبراء الإنسانية مما تعانیه .

وهذا - كما سبق أن رأينا - يصدق إلى حد كبير للغاية على العلم الفلسفى .

فعندما يصبح الانفصال الحاسم بين هذين الضربين من الفلسفة حقيقة واقعة فى وعى العصر ، عندئذ فقط يحق التفكير فى اعتناق الفلسفة لصورة العلم الحقيقى ولغته وتعرفها على واحدة من خصائصها تمدح كثيرا بل وتحاكى ، ألا وهى خاصية العمق ، نقول : تعرفها عليها كنقص فيها . أن العمق Tiefsinn علامة العماء Chaos الذى يرغب العلم الحق فى أن يحوله إلى عالم ويكون Kos-mos أى إلى نظام بسيط ، وواضح تماما ، والعلم الحقيقى على قدر امتداد مذهبه الحقيقى لا يعرف عمقا . فكل جزء من علم مكتمل إنما هو كل مكون من "خطوات فكر" كل منهما مفهوم مباشرة ، وبذلك فهو ليس عميقا على الإطلاق .

ذلك أن العمق شأن من شئون الحكمة ، أما التميز التصوري والوضوح فهما من شأن النظرية الدقيقة . إن تغيير شكل تخمينات العمق إلى صور عقلية لا لبس فيها تلك هي العملية الماهوية في تكوين العلوم الدقيقة من جديد .

فالعلوم المضبوطة لها أيضا حقبها الطويلة من العمق ، وكما فعلت هذه العلوم في صراعاتها في عصر النهضة ، فكذلك الفلسفة أيضا ، في الصراعات التي تخوضها في العصر الحاضر ، أمل أنها سوف تمر وتنتقل من مستوى العمق إلى مستوى الوضوح العلمي . غير أنه لكي يتحقق ذلك فهي لا تحتاج إلا إلى يقين حقيقي يتعلق بهدفها وإرادة قوية تتوجه بوعي كامل نحو هذا الهدف وتقديم كل الطاقات العلمية المتيسرة إن عصرنا يسمى بعصر الانحلال Decadence . وأنا لا أستطيع أن أعد هذه الشكوى شكوى مبررة . ذلك أننا لن نجد في التاريخ عصرا عملت فيه هذه القوى الفعالة عملها بمثل هذا النجاح . إننا قد لا نوافق دائما على الأهداف أو الغايات ، وقد نشكو أيضا من أنه في العصور الأكثر طمأنينة ، حين كانت الحياة تمر بسلام أكثر - ازدهرت أزهار الحياة الروحية ، وهى الأزهار التي لن نستطيع أن نجد أمثالها أو أن نأمل في وجودها في عصرنا . وكذلك ، ففي بعض الأحيان قد يصدم ما نرغبه دائما في عصرنا - يصدم الحس الجمالى الذى يعلى من شأن ذلك الجمال الساذج الذى ينمو حرا طليقا ... لكن من غير الإنصاف لعصرنا أن ننسب إليه الرغبة فيما هو دنى . ٣٤٠ فمن يأنس في نفسه القدرة على إيقاظ الإيمان ، والفهم والحماسة لما في غاية ما من عظمة وسمو ، سوف يجد بسهولة القوى التي تتوجه نحو هذه الغاية . وإننى أقصد بذلك أن أقول : إن عصرنا هو بحسب رسالته عصر عظيم ، وإن كان لا يعانى إلا من النزعة الشكية التي حطمت وحلّت المثل العليا القديمة غير الواضحة . وهو نتيجة لذلك يعانى من نقص تطور الفلسفة وقوتها ، التي لم تتقدم

بعد بما فيه الكفاية ، وليست علمية بالقدر الذى يتيح لها أن تقهر نزعة السلب القائمة على المذهب الشكى (والتي تسمى باسم الوضعية) عن طريق نزعة وضعية حقة . إن عصرنا يريد أن يعتقد فى " الحقائق الواقعية " فقط . والآن ، فإن الحقيقة الواقعية الأقوى إنما هى العلم ، ومن ثم فإن ما يحتاج إليه عصرنا أكثر إنما هو علم فلسفى .

ومع ذلك ، فإذا كنا بتحديدنا لمعنى عصرنا نتوجه نحو هذا الهدف العظيم ، فلا بد أيضا أن نوضح لأنفسنا أننا نستطيع تحقيقه على نحو واحد فقط ، أعنى، أننا إذا كنا بالنزعة الجذرية المتعلقة بماهية العلم الفلسفى الحقيقى لا نقبل شيئا معطى مقدما ، ولا ندع شيئا تقليديا يمر على أنه بداية ، ولا أن ننبهر نحن أنفسنا بأية أسماء مهما تكن عظيمة ، فإننا بالأحرى نحاول الوصول إلى البدايات مستسلمين إراديا للمشكلات ذاتها وللمقتضيات التى تنشأ عنها .

وليس هناك شك أننا نحتاج إلى التاريخ أيضا ، لا على نحو ما يحتاج إليه المؤرخ ، أى لكى نضيع فى تلك التعقيدات التى تنشأ فى داخلها الفلسفات الكبرى ، ولكن من أجل أن تدع الفلسفات ذاتها وبحسب مضمونها الروحى تعمل عملها فينا بوصفها إلهاما لنا . فالواقع أن هذه الفلسفات التاريخية تضىء علينا حياة فلسفية – إذا ما عرفنا كيف نتأملها وننفذ إلى روح كلماتها ونظريتها – حياة فلسفية بكل ما فى عوامل الدفع (الدافعيات) الحية من ثراء وقوة . غير أننا لا نصير فلاسفة عن طريق الفلسفات . فانغماسنا فيها هو تاريخى ، والانشغال به فى نشاط نقدى – تاريخى ، والرغبة فى الوصول إلى علم فلسفى بواسطة تناول تليفيقى أو نهضة تجئ فى غير أوانها : كل ذلك لا يؤدي إلى شئ ، بل هى مجهودات يائسة لا رجاء فيها . إن الحافز إلى البحث لا يجب أن ينطلق من الفلسفات بل من الأشياء ومن المشكلات المتعلقة بها . غير أن الفلسفة إنما هى فى ماهيتها علم البدايات الحقيقية ، أو علم الأصول ... والعلم الذى يهتم بما

هو جذرى لابد ان يكون - من كل وجهة للنظر - جذريا هو نفسه فى طريقة بحثه . وقبل ذلك كله ، لا يجب أن يتوق ليستريح قبل أن يحصل على بدايات الواضحة وضوحا مطلقا ، أى مشكلاته الواضحة بإطلاق ، وأن يحصل على ٣٤١ المناهج التى سبق وصفها وفق للمعنى الخاص بهذه المشكلات ، والمجال النهائى للبحث الذى تعطى فيه الأشياء بوضوح مطلق . ولكن لا يتحتم أبدا التخلّى عن الغياب الجذرى للفكرة المسبقة التى توجد منذ البداية بين أمثال هذه " الأشياء " و " الوقائع " التجريبية . فأن نفعل ذلك معناه أن نقف مثلما يقف إنسان أعمى أمام أفكار هى قبل كل شئ وإلى حد كبير ، معطاة على نحو مطلق فى الحدس المباشر . فنحن أيضا نخضع للأفكار المسبقة التى لا تزال تجئ إلينا من عصر النهضة . وأما بالنسبة إلى من يتحرر تماما وحقيقة من الأفكار المسبقة فسواء عنده إن كان اليقين يجئ إلينا من كنت أو توما الاكوينى ، من دارون أو من أرسطو ، من هلمهولتز أو باراسيلسوس إن ما نحتاج إليه ليس هو التأكيد القائل بأن الإنسان يرى بعينه بل هو بالأحرى ذلك التأكيد بأنه لا يفسر تحت ضغط الفكرة المسبقة التى كان قد رآها . لأنه فى العلوم الحديثة البالغة التأثير فى عصرنا ، ألا وهى العلوم الفيزيائية الرياضية . التى ينشأ الجزء الأكبر من عملها نتيجة مناهج غير مباشرة - فإننا ميالون كثيرا إلى الإغلاء من شأن المناهج غير المباشرة وإلى أن نسى فهم قيمة الإدراك المباشر . غير أن الفلسفة بقدر ما ترجع إلى أصولها النهائية ، فإنها تتعلق على التحقيق بماهيتها وهى أن عملها العلمى إنما يتحرك داخل مناطق الحدس المباشر . وعلى هذا ، فإن أكبر خطوة يجب على عصرنا الحاضر أن يقوم بها هى أن يتعرف أنه عن طريق الحدس الفلسفى ، بالمعنى الصحيح ، أى بمعنى الإدراك الظاهرياتى للماهيات ، يفتح ميدان لا حد له للعمل ، ويقوم علم يكتسب بغير استعانة بكل المناهج الرمزية والرياضية غير المباشرة ، وبغير استعانة بأجهزة المقدمات والنتائج - يكتسب كثرة من أدق المعارف وأكثرها حسما ، لكل فلسفة مقبلة .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام ك. مادهو بانتيكار
- ٣ - التراث المسروق جورج جيمس
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كاريكتوكفا
- ٥ - ثريا فى غيبوبة إسماعيل فصيح
- ٦ - اتجاهات البحث اللسانى ميكا إيفيتش
- ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة لوسيان غولدمان
- ٨ - مشعلو الحرائق ماكس فريش
- ٩ - التغيرات البيئية أندرو س. جودى
- ١٠ - خطاب الحكاية جيرار جينيت
- ١١ - مختارات فيسوافا شيمبوريسكا
- ١٢ - طريق الحرية ديفيد براونستون وأيرين فرانك
- ١٣ - ديانة الساميين روبرتسن سميث
- ١٤ - التحليل النفسى والأدب جان بيلمان نويل
- ١٥ - الحركات الفنية إيفارد لويس سميث
- ١٦ - أثنية السوداء مارتن برنال
- ١٧ - مختارات فيليب لاركين
- ١٨ - الشعر السائى فى أمريكا اللاتينية مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. ج. كراوثر
- ٢١ - خوخة وألف خوخة صمد بهرنجى
- ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين جون أنتيس
- ٢٣ - تجلى الجميل هانز جيورج جادامر
- ٢٤ - ظلال المستقبل باتريك بارنر
- ٢٥ - مثنوى مولانا جلال الدين الرومى
- ٢٦ - دين مصر العام محمد حسين فيكل
- ٢٧ - التنوع البشرى الخلاق مقالات
- ٢٨ - رسالة فى التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيمس ب. كارس
- ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) ك. مادهو بانتيكار
- ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى جان سوفاجيه - كلود كاين
- ٣٢ - الانتقراض ديفيد روس
- ٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية أ. ج. هوبكنز
- ٣٤ - الرواية العربية روجر ألن
- ٣٥ - الأسطورة والحداثة پول . ب. ديكسون
- ت . أحمد درويش
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : شوقى جلال
- ت : أحمد الحضرى
- ت : محمد علام الدين منصور
- ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
- ت : يوسف الأنطكى
- ت : مصطفى ماهر
- ت : محمود محمد عاشور
- ت : محمد مقسم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى
- ت : هناء عبد الفتاح
- ت : أحمد محمود
- ت : عبد الوهاب طوب
- ت : حسن الموين
- ت : أشرف رفيق عفيفى
- ت : بإشراف / أحمد عثمان
- ت : محمد مصطفى بدوى
- ت : طلعت شاهين
- ت : نعيم صلية
- ت: يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
- ت : ماجدة العنانى
- ت : سيد أحمد على الناصرى
- ت : سعيد توفيق
- ت : بكر عباس
- ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ت : أحمد محمد حسين فيكل
- ت : نخبه
- ت : منى أبو سنه
- ت : بدر الديب
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب
- ت : مصطفى إبراهيم فهمى
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : حصه إبراهيم المنيف
- ت : خليل كلفت

- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
٣٨ - نقد الحداثة آلن تورين
٣٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
٤٠ - قصائد حب آن سكستون
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية بيتر جران
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
٤٣ - اللهب المزبوج أوكتايفي پاث
٤٤ - بعد عدة أصياف ألنوس هكسلي
٤٥ - التراث المغفور روبرت ج. دنيا - جون ف. أ. فاين
٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا توما
٤٩ - الإسلام في البلقان ه. ت. نوريس
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانويبا و. م. بينياليستي
٥٢ - العلاج النفسي التبعيبي بيتر. ن. ثوفاليس وستيفن. ج. روجسيفيتز ووجر بيل
٥٣ - الدراما والتعليم أ. ف. ألنجاتون
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج. مايكل والتون
٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهيم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فنيريكو فرسية لوركا
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فنيريكو فرسية لوركا
٥٨ - مسرحيتان فنيريكو فرسية لوركا
٥٩ - المحيرة كارلوس مونيتي
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز آيتين
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث
٦٢ - لذة النص رولان بارت
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك
٦٤ - بوتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى بوتراند راسل
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
٦٨ - تتاشا العجوز وقصص أخرى فالتين راسيوتين
٦٩ - العالم الإسلامي في أول القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوكينيوش تشانج وودريجت
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمل داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عاطف أحمد / إبراهيم قتي / محمود ملجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادريس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد علي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد برادة وعثمان الميود ويسف الأتلكي
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : علي يوسف علي
ت : محمود علي مكي
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : هبيري محمد عبد الفنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متقلى وهويدا محمد فهمي
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . تومكينز
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أنثريه موروا
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٣ رينيه ويليك
٧٨ - العزلة : نظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
٧٩ - شعرية التأليف يوريس أوسبنسكى
٨٠ - يوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١ - الجماعات المتخيلة بنديكت أندرسن
٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
٨٣ - مختارات غوتفريد بن
٨٤ - موسوعة الألب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
٨٦ - طول الليل جمال مير صابقي
٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨ - الابتلاء بالقرع جلال آل أحمد
٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جيننز
٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
الإسبانيون مريكي المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
٩٣ - محنات العولة صمويل بيكيت
٩٤ - الحب الأول والصعبة أنطونيو بويرى بايخو
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة فرنان برودل
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى ديفيد روينسون
٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون
١٠٠ - مساطة العولة بيرنار فاليم
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيبى
١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤيد
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء بروتوت بريشت
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى چيرارچينيت
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع د. ماريا خيسوس روبييرامتى
١٠٦ - الأدب الأندلسى
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيوى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الفانمى وناصر حلاوى
ت : مكاهم القبرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرزاق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم البسوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح

ت : نادية جمال الدين
ت : هيد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إنوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنخلو
ت : عز الدين الكتانى الإنديسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شيل
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعدي

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هينسون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوي ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادي بلانت
١١٤ - مسرحيتا حماد كرنجى وسكان المستنقع رول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا تلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلي أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهري سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلي أبو لغد
١٢١ - الليل الصغير في كتاب المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - تنظّم العبودية القديم ونموذج الإسلام جوزيف فوجت
١٢٣ - إمبراطورية الضمائية وعلاقاتها الدولية نيتل الكسندر وفنابلينا
١٢٤ - الفجر الكائب چون جرائ
١٢٥ - التحليل الموسيقي سيدريك ثورب ليفي
١٢٦ - فعل القراءة فولغانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيث
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا لولورس أميس جاورته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه چوندر فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة باري ج. كيمب
١٣٥ - المخاطر من نقد س. إليوت ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كوتو
١٣٧ - منكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف ماري مواريه
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والتمتد إيفلينا تاروني
١٣٩ - باريسغال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار هوبرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولدوني
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقي جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومي
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروت كارلوس فونتيس
١٤٦ - الورقة الحمراء ميغيل دي ليس
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد دورست
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت
١٤٩ - النظرية الشعرية عند البيت وأونيس عاطف فضول
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى نخبة من الكتاب
١٥٣ - غرام الفراغة فيولين فانتويك
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جي أنبال وآلان وأوبيت فيرمو
١٥٧ - خسرو وشيرين النظامي الكنجي
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس
١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسبوي
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جورنون مارشال
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لوكوتير
١٦٥ - حكايات الخطب أ. ن أفانا سيفا
١٦٦ - العلاقات بين التينين والطمانين في إسرائيل يشعياهو ليفمان
١٦٧ - في عالم طاغور رابندرانات طاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
١٦٩ - إبداعات أنبية مجموعة من المبدعين
١٧٠ - الطريق ميفيل دلبيس
١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
١٧٢ - حجر الشمس مختارات
١٧٣ - معنى الجمال ولتر ت. ستيس
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
١٧٧ - أنطون تشيخوف هنري تروايا
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث نخبة من الشعراء
١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فنسنت. ب. ليتش
- ت : أحمد حسان
ت : علي عبد الرؤوف البعبي
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعي
ت : محمد محمد الخطابي
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مي التمساني
ت : عبد العزيز بقوش
ت : بشير السباعي
ت : إبراهيم فتحي
ت : حسين بيومي
ت : زيدان عبد الطيم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محجوب
ت : إشراف : محمد الجوهري
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصايفة
ت : محمد محمود أبو شخير
ت : شكري محمد عياد
ت : شكري محمد عياد
ت : شكري محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصية إبراهيم منيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
- ١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه جيلسون
- ١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام هانز إبنهورفر
- ١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
- ١٨٦ - معجم مصطلحات هيكل ميخائيل أنوود
- ١٨٧ - الأرضة بُزْدَجْ عَلَوَى
- ١٨٨ - موت الأدب الفين كرتان
- ١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
- ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
- ١٩١ - الكلام وأسمال الحاج أبو بكر إمام
- ١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك زين العابدين المراغى
- ١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
- ١٩٤ - مختارات من نقد الشجل - أمريكى مجموعة من النقاد
- ١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح
- ١٩٦ - المهلة الأخيرة فالنتين راسبوتين
- ١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى
- ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إيون إمرى وآخرين
- ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندوى
- ٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سبيروك
- ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
- ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٢ رينيه ويليك
- ٢٠٣ - الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى
- ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زالمان شازار
- ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوكا كافالى - سفورزا
- ٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
- ٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز
- ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
- ٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
- ٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
- ٢١١ - فرديناند توسوسير جوناثان ككر
- ٢١٢ - قصص الأمير موزيان موزيان بن رستم بن شروين
- ٢١٣ - ممرقة قديم تليين حتى رجل بعد القصر ريمون فلاور
- ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيننز
- ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك ج٢ زين العابدين المراغى
- ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
- ٢١٧ - مسرحيتان طليعتان صمويل بيكيت
- ٢١٨ - راويلا خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ
- ت : فتحى العشرى
- ت : دسوقي سعيد
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : علاء منصور
- ت : بدر الديب
- ت : سعيد الغامى
- ت : محسن سيد قرجانى
- ت : مصطفى حجازى السيد
- ت : محمود سلامة علاوى
- ت : محمد عبد الواحد محمد
- ت : ماهر شفيق فريد
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : أشرف الصباغ
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
- ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ت : فخرى لبيب
- ت : أحمد الأنصارى
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : أحمد محمود هويدى
- ت : أحمد مستجير
- ت : على يوسف على
- ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ت : محمد أحمد صالح
- ت : أشرف الصباغ
- ت : يوهف عبد الفتاح فرج
- ت : محمود حمدى عبد الغنى
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : سيد أحمد على الناصرى
- ت : محمد محمود محى الدين
- ت : محمود سلامة علاوى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : نادية البنهاوى
- ت : على إبراهيم على منوفى

- ٢١٩ - بقايا اليوم
كارو ايشجورو
- ٢٢٠ - الهيلولية في الكون
باري باركر
- ٢٢١ - شعيرية كفاي
جريجوري جوزدانييس
- ٢٢٢ - فرانز كافكا
رونالد جراي
- ٢٢٣ - العلم في مجتمع حر
بول فيراينر
- ٢٢٤ - دمار يوغسلافيا
برانكا ماجاس
- ٢٢٥ - حكاية غريق
جابريل جارتيا ماركث
- ٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى
بيفيد هريت لورانس
- ٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
موسى مارديا ديف بوركي
- ٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
جانيت وولف
- ٢٢٩ - مازق البطل الوحيد
نورمان كيماي
- ٢٣٠ - عن الذباب والفتران والبشر
فرانسواز جاكوب
- ٢٣١ - الدرافيل
خايمي سالوم بيدال
- ٢٣٢ - مابعد المعلومات
توم ستينر
- ٢٣٣ - فكرة الاضمحلال
أرثر هيرمان
- ٢٣٤ - الإسلام في السودان
ج. سينسر تريمنجهام
- ٢٣٥ - ديوان شمس تيريزي ج
جلال الدين الرومي
- ٢٣٦ - الولاية
ميشيل تود
- ٢٣٧ - مصر أرض الوادي
روين فيدين
- ٢٣٨ - العولة والتحرير
الانكتاد
- ٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي
جيلراف - راويخ
- ٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
كاسي حافظ
- ٢٤١ - في انتظار البرابرة
ك. م. كويتز
- ٢٤٢ - سبعة أنماط من القموض
وليام إمبسون
- ٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج١
ليفى يروفنسفال
- ٢٤٤ - الغليان
لورا إسمكييل
- ٢٤٥ - نساء مقاتلات
إليزابيتا أنيس
- ٢٤٦ - قمصن مختارة
جابريل جرثيا ماركث
- ٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدثة في مصر
ولتر أرمبرست
- ٢٤٨ - حقول عدن الخضراء
أنطونيو جالا
- ٢٤٩ - لغة التمزق
دراجو شتامبوك
- ٢٥٠ - علم اجتماع العلوم
نومنيك فينك
- ٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
جوربون مارشال
- ٢٥٢ - وائذات الحركة النسوية المصرية
مارجو بنران
- ٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية
ل. أ. سيمينوفنا
- ٢٥٤ - الفلسفة
ليف روينسون وجودي جروفز
- ٢٥٥ - أفلاطون
ليف روينسون وجودي جروفز
- ت . طلعت الشايب
ت : علي يوسف علي
- ت : رفعت سلام
ت : نسيم مجلى
- ت : السيد محمد نقادى
ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
- ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
ت : طاهر محمد علي البريرى
- ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
- ت : أمير إبراهيم العمرى
ت : مصطفى إبراهيم فهمى
- ت : جمال أحمد عبد الرحمن
ت : مصطفى إبراهيم فهمى
- ت : طلعت الشايب
ت : فؤاد محمد مكد
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد الطيب
- ت : عنايات حسين طلعت
ت : ياسر محمد جاد الله وعربى منبيلى أحمد
- ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق
ت : صلاح عبد العزيز محمود
- ت : ابتسام عبد الله سعيد
ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
- ت : مجموعة من المترجمين
ت : نادية جمال الدين محمد
- ت : توفيق على منصور
ت : على إبراهيم على منولى
- ت : محمد الشرقاوى
ت : عبد الطيف عبد الحليم
- ت : رفعت سلام
ت : ماجدة أباطة
- ت بإشراف : محمد الجوهري
ت : على بنران
- ت : حسن بيومى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : إمام عبد الفتاح إمام

- ٢٥٦ - ديكارت
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة
٢٥٨ - الفجر
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود
٢٦٢ - مدينة المعجزات
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة
٢٦٥ - روايات مترجمة
٢٦٦ - مدير المدرسة
٢٦٧ - فن الرواية
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢
٢٧١ - الحضارة القريبة
٢٧٢ - الألبيرة الأثرية في مصر
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط
٢٧٤ - السيدة بريارا
٢٧٥ - م.س. إليه شاعر وثقافة يكتب مسرحياً
٢٧٦ - فنون السينما
٢٧٧ - الجنات : الصراع من أجل الحياة
٢٧٨ - البدايات
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية
٢٨٠ - من الألب الهندى الحديث والمعاصر
٢٨١ - الفربوس الأعلى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية
٢٨٣ - السهل يحترق
٢٨٤ - هرقل مجنوناً
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢
٢٨٧ - الثقافة والمولة والنظام العالمى
٢٨٨ - الفن الروائى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة
٢٩١ - للسرح الإسباني في القرن العشرين ج ١
٢٩٢ - للسرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢
- ديف روينسون وجودى جروفز
وايم كللى رايت
سير أنجوس فريزد
نخبة
جورديون مارشال
زكى نجيب محمود
إدوارد مندوثا
جون جرين
هوراس / شلى
أوسكار وايلد وصموئيل جونسون
جلال آل أحمد
ميلان كونديرا
جلال الدين الرومى
وايم جيفور بالجريف
وايم جيفور بالجريف
توماس سى . باترسون
س.س. والترز
جوان آر. لوك
روموالو جلاجوس
أقلام مختلفة
فرائك جوتيران
بريان فورد
إسحق عظيموف
فرانسيس ستونر سوندرز
بريم شند وآخرون
مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى
لويس وابيرت
خوان روافو
يوريبيدس
حسن نظامى
زين العابدين المراغى
أنتونى كينج
بيفيد لودج
أبو نجم أحمد بن قوص
جورج موانان
فرانشيسكو رويس رامون
فرانشيسكو رويس رامون
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمود سيد أحمد
ت : عبادة كحيلة
ت : فاروقان كانانچيان
ت بإشراف : محمد الجوهري
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : على يوسف على
ت : لويس عوض
ت : لويس عوض
ت : عادل عبد المنعم سويلم
ت : بدر الدين عروبيكى
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : صبرى محمد حسن
ت : صبرى محمد حسن
ت : شوقي جلال
ت : إبراهيم سلامة
ت : عثمان الشهاوى
ت : محمود على مكى
ت : ماهر شفيق فريد
ت : عبد القادر التلمسانى
ت : أحمد فوزى
ت : ظريف عبد الله
ت : طلعت الشايب
ت : سمير عبد الحميد
ت : جلال الحفناوى
ت : سمير حنا صادق
ت : على اليمبى
ت : أحمد عثمان
ت : سمير عبد الحميد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد يحيى وآخرون
ت : ماهر البطوطى
ت : محمد نور الدين
ت : أحمد زكريا إبراهيم
ت : السيد عبد الظاهر
ت : السيد عبد الظاهر

- ٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي روجر آلان
٢٩٤ - فن الشعر بوالو
٢٩٥ - سلطان الأسطورة جوزيف كامبل
٢٩٦ - مكبث وليم شكسبير
٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية ديونيسيوس ثراكس - يوسف الاهواني
٢٩٨ - مأساة العبيد أبو بكر تغاوايلويه
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية جين ل. ماركس
٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مجا لويس عوض
٣٠١ - أسطورة برومثيروس مجا لويس عوض
٣٠٢ - فنجنشتين جون هيتون وجودي جروفز
٣٠٣ - بوذا جين هوب ويورن فان لون
٣٠٤ - ماركس ريسوس
٣٠٥ - الجلد كروزيو مالابارته
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي لتاريخ جان - فرانسوا ليوتار
٣٠٧ - الشعور ليفيد بابينو
٣٠٨ - علم الوراثة ستيف جونز
٣٠٩ - الذهن والمخ انجوس چيلاتي
٣١٠ - يونج ناجي هيد
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي كولنجرود
٣١٢ - روح الشعب الأسود وليم دي بويز
٣١٣ - أمثال فلسطينية خابير بيان
٣١٤ - الفن كعدم جينس مينيك
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي ميشيل برونينو
٣١٦ - محاكمة سقراط آ. ف. ستون
٣١٧ - بلا غد شير لايموفا - زنيكين
٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة نخبة
٣١٩ - صور دريدا جايتر ياسبيفاك وكريستوفر نوريس
٣٢٠ - لغة السراج لحضرة التاج مؤلف مجهول
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ ليفي برو فنسال
٣٢٢ - وجهات نظر حية في تاريخ الفن الغربي بلبليو. إيوجين كلينباور
٣٢٣ - فن الساتورا ثرات يوناني قديم
٣٢٤ - اللعب بالنار أشرف أسدي
٣٢٥ - عالم الآثار فيليب بوسان
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة جورجين هابرماس
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة نخبة
٣٢٨ - يوسف وزليخة نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد تد هيوين
- ت : نخبة من المترجمين
ت : رجا ياقوت صالح
ت : بدر الدين حب الله الديب
ت : محمد مصطفى بدوي
ت : ماجدة محمد أنور
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : هاشم أحمد فؤاد
ت : جمال الجزيري وبهاء چاهين
ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : صلاح عبد الصبور
ت : نبيل سعد
ت : محمود محمد أحمد
ت : ممنوح عبد المنعم أحمد
ت : جمال الجزيري
ت : محيي الدين محمد حسن
ت : فاطمة إسماعيل
ت : أسعد سليم
ت : عبد الله الجعفي
ت : هويدا السباعي
ت : كاميليا صبحي
ت : نسيم مجلى
ت : أشرف الصباغ
ت : أشرف الصباغ
ت : حسام نايل
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : نخبة من المترجمين
ت : خالد مقلح حمزة
ت : هانم سليمان
ت : محمود سلامة علاوي
ت : كريستين يوسف
ت : حسن صقر
ت : توفيق على منصور
ت : عبد العزيز بقوش
ت : محمد عيد إبراهيم

- ٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
٣٣١ - عندما جاء السرددين ستيفن جراي
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى نخبة
٣٣٣ - الإسلام في بريطانيا نيل مطر
٣٣٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٣٣٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٣٣٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٣٣٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٣٣٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢ على أصغر حكمت
٣٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو
٣٤١ - قصائد من ولكه راينر ماريا ولكه
٣٤٢ - سلمان وأيسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمير
٣٤٤ - الموت في الشمس بيتر بلانجوه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن بونه نداءي
٣٤٦ - سحر مصر رشاد رشدي
٣٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتي
٣٤٨ - المتصورة الأولى في الأدب التركي محمد فؤاد كويرلي
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدوين وآخرين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٣٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس
٣٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٣٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (مكتسبة) باسيليو يابون مالدونالد
٣٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نبتية) باسيليو يابون مالدونالد
٣٥٥ - التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى
٣٥٦ - الميراث المر بول سالم
٣٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية نخبة
٣٥٩ - محاورات بارمنيس أفلاطون
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أنثريه جاكوب ونويلا باركان
٣٦١ - التصحر : التهديد والمواجهة آلان جرينجر
٣٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شبورال
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيمسون
٣٦٤ - حادثة شكسبير إسماعيل سراج الدين
٣٦٥ - سأم باريس شارل بودلير
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئب كلاريسا بنكولا
- ت : سامي صلاح
ت : سامية نياب
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى قهبي
ت : فتحي العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخرى لبيب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فوج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الطوي
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصاري
ت : نعيم عطية
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلى الشرييني
ت : عاطف معتمد وآمال شاور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد

- ٣٦٧ - القلم الجريء نخبة
٣٦٨ - المصطلح السردى جيرالد برنس
٣٦٩ - المرأة فى أنب نجيب محفوظ فوزية العشماوى
٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية كليلا لويت
٣٧١ - المتصوفة الأولون فى الغرب التركى ج٢ محمد فؤاد كويرلى
٣٧٢ - عاش الشباب وانغ مينغ
٣٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه أمبرتو إيكو
٣٧٤ - اليوم السادس أندريه شديد
٣٧٥ - الخلود ميلان كونديرا
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين نخبة
٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤ على أصغر حكمت
٣٧٨ - المسافر محمد إقبال
٣٧٩ - ملك فى الحديقة سنيل باث
٣٨٠ - حديث عن الخسارة جوتتر جراس
٣٨١ - أساسيات اللغة ر. ل. تراسك
٣٨٢ - تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار
٣٨٣ - هدية الحجاز محمد إقبال
٣٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال سوزان إنجيل
٣٨٥ - مشترى العشق محمد على بهزادراد
٣٨٦ - نفاعاً عن التاريخ العربى جانيث تود
٣٨٧ - أغنيات ومونيات چون دن
٣٨٨ - مواظ سعدي الشيرازى سعدى الشيرازى
٣٨٩ - من الأدب الاكستائى المعاصر نخبة
٣٩٠ - الارشيفات والمدن الكبرى نخبة
٣٩١ - الحافلة الليكسية مايك بينشى
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دى لاجرانخا
٣٩٣ - فى قلب الشرق نثوة لويس ماسينيون
٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز
٣٩٥ - الام سياوش إسماعيل فصيح
٣٩٦ - السافاك تقى نجارى راد
٣٩٧ - نيتشه لورانس جين
٣٩٨ - سارتر فيليب تودى
٣٩٩ - كامى ليفيد ميروقتس
٤٠٠ - مومى ميثائيل إنده
٤٠١ - الرياضيات زيادون ساردر
٤٠٢ - هوكنج ج. ب. ماك ايفوى
٤٠٣ - رية المطر والملابس تصنع الناس تولور شتورم
- ت : البراق عبد الهادى رضا
ت : عابد خزندار
ت : فوزية العشماوى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : وحيد السعيد عبد الحميد
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : حمادة إبراهيم
ت : خالد أبو اليزيد
ت : إيوار الخراط
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال عبد الرحمن
ت : شيرين عبد السلام
ت : رائيا إبراهيم يوسف
ت : أحمد محمد نادى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : إيزابيل كمال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : بهاء چاهين
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : عثمان مصطفى عثمان
ت : منى النوروى
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : نخبة
ت : هاشم أحمد محمد
ت : سليم حمدان
ت : محمود سلامة علاوى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : ياهر الجوهري
ت : معلوح عبد المنعم
ت : معلوح عبد المنعم
ت : عماد حسن بكر

- ٤٠٤ - تعويذة الحسى ليفيد إبراهيم
٤٠٥ - إيزابيل أندريه جيد
٤٠٦ - المستعمرون الإسبان في القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس
٤٠٧ - الألب الإسباني للعصر بقلم كلبه أقلام مختلفة
٤٠٨ - معجم تاريخ مصر جوان فوتشركنج
٤٠٩ - انتصار السعادة برتراند راسل
٤١٠ - خلاصة القرن كارل بوبر
٤١١ - همس من الماضي جينيفر أكرمان
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ٢ ليفي بروفتسال
٤١٣ - أغنيات المنفى ناظم حكمت
٤١٤ - الجمهورية العالمية للأدب باسكال كازانوف
٤١٥ - صورة كوكب فريديش نورنيما
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٥ رينيه ويليك
٤١٨ - سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواي
٤١٩ - العصر الذهبي للإسكندرية جون ماريو
٤٢٠ - مكرو ميجاس فولتير
٤٢١ - الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي روى متحدة
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ١ نخبة
٤٢٣ - إسرارات الرجل الطيف نخبة
٤٢٤ - لوائح الحق ولوائح العشق نور الدين عبد الرحمن الجامي
٤٢٥ - من طاموس حتى قرع محمود طلووي
٤٢٦ - الخليلي وقسم آخر من اللغتين نخبة
٤٢٧ - بانديراس الطاغية باي إنكلان
٤٢٨ - الخزنة الخفية محمد هوتك
٤٢٩ - هيجل ليود سبنسر وأندريجي كروز
٤٣٠ - كانط كريستوفر وانت وأندريجي كليموفسكي
٤٣١ - فوكي كريس هيروكس وزوران جفتيك
٤٣٢ - ماكيافي باتريك كيروي وأوسكار زاريت
٤٣٣ - جويس ليفيد نوريس وكارل فلنت
٤٣٤ - الرمانسية تونكان هيث وجودن بورهام
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زديرج
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١) فردريك كويلستون
٤٣٧ - رحلة هندي في بلاد الشرق شيلي النعماني
٤٣٨ - بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس
٤٣٩ - موت المرابي صدر الدين عيني
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية كرسن برنستاد
- ت : ظبية خميس
ت : حمادة إبراهيم
ت : جمال أحمد عبد الرحمن
ت : طلعت شاهين
ت : عنان الشهاوي
ت : إلهامى عمارة
ت : الزواوي بغورة
ت : أحمد مستجير
ت : نخبة
ت : محمد البخاري
ت : أمل الصبان
ت : أحمد كامل عبد الرحيم
ت : مصطفى بدوي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : عبد الرحمن الشيخ
ت : نسيم مجلى
ت : الطيب بن رجب
ت : أشرف محمد كيلاني
ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
ت : وحيد النقاش
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : محمود سلامة علاوي
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : ثريا شلبي
ت : محمد أمان صافي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : حمدي الجابري
ت : عصام حجازي
ت : ناجي رشوان
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : عايدة سيف النولة
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : محمد الشرقيوي

- ٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة أروندهاتى روى
٤٤٢ - حتشبسوت (المرأة الفرعونية) فوزية أسعد
٤٤٣ - اللغة العربية كيس نرستينغ
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه
٤٤٥ - حول وزن الشعر پرويز ناتل خانلرى
٤٤٦ - التحالف الأسود ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير
٤٤٧ - نظرية الكم ج. پ. ماك ايفوى
٤٤٨ - علم نفس التطور ديلاان ايفانز - أوسكار زاريت
٤٤٩ - الحركة النسائية مجموعة
٤٥٠ - ما يعد الحركة النسائية صوفيا فوكا - ريبيكارايت
٤٥١ - الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن / بورن فان لون
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجنانزى / أوسكار زاريت
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو
٤٥٤ - خسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥) فريدريك كويلستون
٤٥٦ - لا تنسنى مريم جعفرى
٤٥٧ - النساء فى الفكر السياسى الغربى سوزان مولر اوكن
٤٥٨ - الموريكيون الأندلسيون خوليو كارو باروخا
٤٥٩ - نمو مفهوم التصانيع المولد الطبيعية توم تيتنبرج
٤٦٠ - الفاشية والنازية ستوارت هود - ليتزا جانستز
٤٦١ - لكان داريان ليدر - جودى جروفز
٤٦٢ - طه حسين من الأزم إلى السورين عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ - الدولة المارقة ويليام بلوم
٤٦٤ - ديمقراطية القلة ميكائيل بارنتى
٤٦٥ - قصص اليهود لويس جنزيرج
٤٦٦ - حكايات حب ويطولات فرعونية فيولين فانويك
٤٦٧ - التفكير السياسى ستيفين ديلو
٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة جوزايا رويس
٤٦٩ - جلال الملوك نصوص حبشية قديمة
٤٧٠ - الأرض والجودة البيئية نخبة
٤٧١ - رحلة لاكتشاف أفريقيا ج٢ نخبة
٤٧٢ - دون كيخوتى (القسم الأول) ميغيل دى ثريانتس سابيدرا
٤٧٣ - دون كيخوتى (القسم الثانى) ميغيل دى ثريانتس سابيدرا
٤٧٤ - الأدب والنسوية يام موريس
٤٧٥ - صوت مصر : أم كلثوم فرجينيا دانيلسون
٤٧٦ - أرض الحايب بعيدة : بييم الترنسى ماريلين بوث
٤٧٧ - تاريخ الصين هيلدا هوخام
- ت قخرى لبيب
ت ماهر جويجاتى
ت محمد الشرقاوى
ت : صالح علمانى
ت محمد محمد يونس
ت . أحمد محمود
ت ممنوح عبد المنعم
ت : ممنوح عبد المنعم
ت . جمال الجزيرى
ت جمال الجزيرى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت . محى الدين مزيد
ت : حليم طوسون وفؤاد الدمان
ت . سوزان خليل
ت : محمود سيد أحمد
ت : هويدا عزت محمد
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : جمال عبد الرحمن
ت . جلال البنا
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
ت : كمال السيد
ت : حصه منيف
ت : جمال الرفاعى
ت : فاطمة محمود
ت : ربيع وفبة
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجدى عبد الرازق
ت : محمد السيد الننة
ت : عيد الله الرازق إبراهيم
ت : سليمان العطار
ت : سليمان العطار
ت : سهام عبد السلام
ت : عادل هلال عنانى
ت : سحر توفيق
ت : أشرف كيلانى

- ٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة ليوشيه شنج ولى شى دونج
 ٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية) لاوشه
 ٤٨٠ - تساي ون جى (مسرحية صينية) كو مو روا
 ٤٨١ - عبادة النبی روى متحدة
 ٤٨٢ - موسوعة الاساطير والرموز اللغوية رويير جاك تيبو
 ٤٨٣ - حرودة الطاهر بنجلون
 ٤٨٤ - جمالية التلقى هانسن روييرت ياوس
 ٤٨٥ - التوبة (رواية) نذير أحمد الدهلوى
 ٤٨٦ - الذاكرة الحضارية بان أسمن
 ٤٨٧ - الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية رفيع الدين المراد أبادی
 ٤٨٨ - الصب الذى كان وقصائد أخرى نخبة
 ٤٨٩ - هُسرل : الفلسفة علماً نقيلاً هُسرل
- ت : عبد العزيز حمدي
 ت : عبد العزيز حمدي
 ت : عبد العزيز حمدي
 ت : رضوان السيد
 ت : فاطمة محمود
 ت : رشيد بنحو
 ت : رشيد بنحو
 ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
 ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت : محمود رجب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٩٢٩ / ٢٠٠٢

H U S S E R L

يطلق الباحثون في فلسفة هُسرل على كتابه «الفلسفة علماً دقيقاً» اسم «مقال اللوغوس» نسبة إلى مجلة «اللوغوس» التي نُشر فيها ، وهناك ما يشبه الإجماع بين الباحثين على أهمية هذا المقال في تفكير هُسرل ، يتجلى ذلك في تلك الأوصاف التي تطلق عليه ؛ فمن قائل بأنه «أشبه شيء ببيان الحركة الظاهريّة كلها» ، ومن قائل بأنه «بمثابة الصخرة التي يقوم عليها كل تفكير هُسرل» . إن تصور العلم الذي يبدأ منه هُسرل هو تصور أفلاطون وديكارث والنزعة العقلية في القرن السابع عشر عامة للعلم ، وهذا التصور الذي يتوجه نحو الأسس الأولى والمعايير اللامشروطة يختلف من حيث الأساس عن التصور الحديث للعلم التجريبي ، بل ويختلف عن التصور الحديث للعلم عمومًا ، فالعلم بالمعنى الأفلاطوني هو العلم المطلق ، هو المعرفة المطلقة ، ويتميز أساساً بأنه حدس للماهيات ، كما أن الظاهريات - عند هُسرل - تقوم على حدس الماهيات في مقابل العلوم التجريبية التي تقوم على الوقائع ؛ فالمشروع الظاهرياتي لإقامة الفلسفة بوصفها علماً دقيقاً يفترض - بل ويتأسس على - هذه التفرقة بين الواقعة والماهية .

Bibliotheca Alexandrina



0461363

هُسْرَل
الفلسفة علماً دقيقاً



439